الفصل الرابع

نفقور فوقاس واسترجاع كريت

مـارس ٩٦١ م / المحرم ٣٥٠ هـ

- العوامل السياسية التى مهدت لقيام حملة نفقور فوقاس وساعدت على نجاحها .
- شخصية نقفور فوقاس واختياره قائد للحملة .
- استعدادات الحملة .
- حصار القوات البيزنطية لجزيرة كريت .
- السفارات الكريتية إلى القـوى الإسلامية فى المشرق والمغرب لطلـب المساعدات العسكرية .
- استجابة الخلافة الفاطمية لأهالى كريت .
- هزيمة القوات الكريتية والفاطمية على يد نقفور فوقاس .
- الفتح البيزنطى لمدينة الخندق واستسلام باقى الجزيرة .
- أسباب عدم قيام العالم الإسلامى بمحاولة استرداد كريت .

عرضنا فى الفصل السابق للصراع بين كريت وبيزنطة فى المرحلة التى امتدت منذ منتصف القرن التاسع الميلادى وحتى ختام النصف الأول من القرن العاشر ، والمحاولات المستمرة من جانب أباطرة الأسرة المقدونية لأسترداد كريت ، تلك المحاولات التى كان آخرها حملة عام ٩٤٩ م(٣٣٨هـ) فى عصر الإمبراطور قسطنطين السابع ، وقد ترتب على فشل هذه الحملة ، ازدياد سيطرة المسلمين على جزيرتهم والجزر الأخرى التى كانت تحت

ايديهم ، كما قويت سيطرتهم كذلك على طرق الملاحة فى البحر الإيجى والبحار المجاورة . (١)

وهكذا اصبح من المحتم على بيزنطة ، تأمينا لمصالحها ، أن تقوم بمحاولة كبيرة لأسترجاع كريت ، فأرسلت عليها حملة فى عام ٩٦٠ م / ٣٤٩ هـ ، قدر لها ان تكون من أشهر ، احداث التاريخ البيزنطى فى الشطر الثانى من القرن العاشر الميلادى ، لما امتازت به من ضخامة استعداداتها ، ونجاحها فى تحقيق الغرض الذى ارسلت من اجله . والواقع ان الظروف السياسية التى ألمت بمسرح الأحداث ، سواء مايتعلق منها بالجانب الإسلامى أو الجانب البيزنطى ، كانت مهيأة إلى حد كبير لقيام هذه الحملة ونجاحها .

فقد كان المشرق الإسلامى فى ذلك الوقت يعانى من الضعف والتفكك السياسى ، فمنذ أواخر القرن التاسع الميلادى كان عهد قوة الدولة الإسلامية الكبرى ، التى شيدها العباسيون الأول قد ولى ، وأخذت هذه الدولة تعانى من الأنحلال السياسى ، وما ترتب على ذلك من ضعف (٢) . اذ تجزأت خلافة العباسيين إلى دويلات متنافسه ، كما ضعفت سلطة الخلفاء المركزية . فقد تغلبت العناصر الفارسية على الجزء الشرقى من الدولة العباسية ، وقام السمانيون فى الجزء الشرقى من بلاد فارس واتخذوا من بخارى وسمرقند عاصمتين لهم ، وحكموا فترة شملت معظم القرن العاشر الميلادى (٩٠٣ –

---

(1) Schlumberger, Un Empereur Byzantin, p. 39.

(٢) هناك مصادر عديدة يمكن الرجوع إليها للاستفادة منها فى هذا الموضوع ، ومنها على سبيل المثال ، مسكويه : تجارب الامم ، جـ٢ ، ص ٨٤ ومابعدها (نشر امبروز ، القاهرة ، ١٩١٥) ، يحيى الانطاكى : التاريخ ، ص ١٠٣ – ١٠٤ ، المسعودى : التنبيه والاشراف ص ٤٠٠ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ٧ ، مواضع متفرقة وقد عالج الاستاذ الدكتور عمر كمال توفيق هذا الموضوع بافاضة فى كتابه مقدمات العدوان الصليبى صفحات ٤٧ – ٥٧ .

٩٩٠ م) . كما استطاع البويهيون الشيعة تأسيس اسرة فارسية اخرى ، حكمت الجزء الغربى من بلاد فارس ، واخضعت بغداد والعراق ، واستمرت فى الحكم من سنة ٩٤٥ إلى سنة ١٠٥٥ م (٣٣٤ – ٤٤٧ هـ) . حقيقة ان امراء هذه الأسرة لم يقضوا على حكم بنى العباس ، الا ان امور الدولة كافة أصبحت فى أيديهم ، حتى غدا تنصيب الخلفاء وعزلهم ، بل وقتلهم طوع رغبتهم ، وقد أحسن المؤرخ البيروتى حين قال « ان الدولة والملك قد انتقل من آل العباس إلى آل بويه ، والذى بقى فى أيدى الدولة العباسية انما هو أمر دينى اعتقادى ، لا ملكى دنيوى ». (١) وقد كان لظهور العناصر الفارسية البويهية على مسرح الحوادث السياسية واستحواذهم على السلطة فى العراق ، آثاره السيئة على المشرق الإسلامى ، اذ ان محور اهتمام هذه العناصر كان بلاد فارس والأقاليم التابعة لها ، ولم يكترثوا بشئون الشرق الأدنى ، كما انهم لم يعملوا على القضاء على أخطر المشاكل التى يتعرض لها والخاصة بتغلغل النفوذ البيزنطى وزحفه المستمر على الأقاليم الحيوية فى هذه المنطقة ، والجزء الشرقى من حوض البحر المتوسط .

يضاف إلى ذلك عوامل اخرى أدت إلى اضعاف الخلافة العباسية ، وصرفت انتباه اولى الأمر بها عن مواجهة البيزنطيين ، منها العداء الذى اشتد بين اتباع مذهبى السنة والشيعة الذين قويت شوكتهم بعد سيطرة البويهيين الشيعة على الأمور فى بغداد (٢) . كذلك الإنقسام العنصرى الذى قام بين الجند من الاتراك والديلم ، وماترتب عليه من نتائج خطيرة للغاية (٣) .

---

(١) البيروتى : الآثار الباقية ، ص ١٣٢ .

(٢) يحيى الانطاكى : التاريخ ، ص ١٤١ .

(٣) بشأن الصراع بين الاتراك والديلم فى العراق ، انظر ، يحيى الانطاكى : التاريخ ، ص ١٤٢–١٤٥ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ٧ ، ١٥٢ ومابعدها ، شكيب ارسلان : المختار من رسائل الصابئ ، ص ١٠ . راجع كذلك :
Canard, Histoire de la Dynastie des Hamdanides, pp. 557—560.

وفى وسط هذه الظروف نجح الحمدانيون فى اقتطاع امارة أو دويلة خاصة بهم فى اقليم الجزيرة شمال العراق ، واتخذوا من مدينة الموصل عاصمة لهم ، واستمرت هذه الأمارة من سنة ٩٢٩ م / ٣١٧ هـ إلى سنة ٩٩١ م / ٣٨١ هـ . وقد عانت هذه الأمارة هى الأخرى من الأضطرابات السياسية ، التى كان اهمها ، الصراع العنيف الذى قام بين الحمدانيين حكامها وبين البويهيين المسيطرين على الأمور بالعراق ، وكانت اسباب ذلك الخلاف ترجع إلى أن الحمدانيين كانوا يرون انفسهم أحق بحكم العراق من البويهيين نظرا لأصلهم غير العربى ، ومن ناحية اخرى وجد ناصر الدولة بن حمدان حاكم امارة الموصل ، فى تغيير الحكام فى العراق فرصته للتخلص من دفع الجزية السنوية التى كان يؤديها لأمير الأمراء التركى الذى كان مسيطرا على شئون الحكم فى بغداد قبل انتقال السلطة إلى ايدى البويهيين . ومن هنا قامت الحروب بين الطرفين واستمرت لفترة طويلة من الزمن (١)

وبالنسبة لمصر ، فقد سيطرت عليها الدولة الأخشيدية واستقلت بها ، وحكمتها فى الفترة من ٩٣٥ — ٩٦٩ م / ٣٢٣ — ٣٥٨ هـ . وقد حرص الاخشيديون على ضم الشام الى حكمهم وتحقيق الوحدة بين القطرين على النحو الذى حدث فى فترات متعددة من العصور التاريخية المختلفة ، غير انهم سرعان ما اصطدموا فى الشام بالحمدانيين الذين انتقل فرع منهم فى سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م إلى الشام تحت قيادة سيف الدولة الحمدانى ، وانتزع من الأخشيديين بعض ممتلكاتهم فى الشمال وهى حلب وقنسرين وانطاكية وشيزر واللاذقية وحماة

---

(١) فيما يتعلق بالخلاف بين البويهيين والحمدانيين ، انظر ، يحيى الانطاكى : التاريخ ، ص ١١٠ — ١١١ ، ١١٥ . انظر ايضا ،

Canard, op. cit., pp. 512—560.

وحمص ، لذلك فقد قامت الحروب بين الأخشيديين وهذا الأمير الحمدانى (١)

وبتأسيس سيف الدولة لهذه الامارة فى شمال الشام ، أصبح عليه بحكم الموقع الجغرافى لأمارته ان يواجه البيزنطيين ، والواقع انه لم يدخر جهدا فى مقاومتهم وقد أمضى طوال فترة حكمه ٣٣٣ – ٣٥٦ هـ / ٩٤٤ – ٩٦٧ م فى صراع دائم معهم ، وحالفه الحظ فى ذلك وخاصة فى الفترة المبكرة من حكمه وخانه كذلك فى كثير من الأحيان ، غير ان ذلك لم يثن من عزمه على مواصلة هذا الصراع (٢) . لكن سيف الدولة لم يكن فى موقف يحسد عليه ، اذ عانى الكثير من المتاعب التى كان اهمها ضعف امكانيات امارته ، كما كان عليه ان يعمل حساب جيرانه المسلمين المنافسين له ، وخاصة الأخشيديين فى جنوبى دولته ، الذين ظلوا يحاولون استعادة ممتلكاتهم القديمة . وفى نفس الوقت كان على سيف الدولة ان يكبح جماح امرائه الذين أرادوا الخروج عليه والأستقلال بأقطاعاتهم (٣) .

وفيما يتعلق بكريت ، فالواقع اننا لانعلم شيئا عن الأحوال الداخلية بها ، وعما إذا كان الضعف والاضطراب السياسى الذى شمل الشرق الأدنى الإسلامى

---

(١) يوجد تفصيلا لهذه الحروب فى المراجع التالية :
ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، جـ١ ، ص ١١١ – ١١٩ .
سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ٣٤٩ – ٣٥٢ . راجع كذلك ،
Canard, op. cit., pp. 576—583.

(٢) بشأن تفاصيل الصراع بين سيف الدولة و لبيزنطيين انظر ، مسكوية : تجارب الامم ، المجلد الثانى ، جـ٦ ، ص ١٢٥ ومابعدها ، يحيى الانطاكى : التاريخ ، ص ٦٩ ومابعدها (طبعة باريز) .

(٣) انظر تفاصيل حركات التمرد التى قامت ضد سيف الدولة فى المصادر التالية :
يحيى الانطاكى : التاريخ ، ص ١٢١ – ١٢٣ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٧١ – ٧٦ ، ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، جـ١ ، ص ١٤٨ – ١٤٩ .
راجع كذلك : Canard, op. cit., pp. 648—651.

قد اصابها هى الأخرى ام لا ، غير انه ممالاشك فيه أنها لابد وأن تكون قد تأثرت بظروف الشرق الأدنى نظرا لاتصالاتها الوثيقة ببلدان هذا الاقليم ، وعلى الأقل يكفى أنها فقدت المساعدة العسكرية فى المجال البحرى من جانب هذه البلاد ، تلك المساندة التى ظهرت بشكل واضح منذ أواخر العقد السابع من القرن التاسع الميلادى ، واستمرت قائمة خلال النصف الأول من القرن العاشر الميلادى ، والتى كان لها اثرها الكبير فيما احرزته كريت آنذاك من انتصارات على البيزنطيين . وهكذا اصبح من المتوقع الا تستطيع كريت الصمود وحدها امام الدولة البيزنطية وقوتها الناهضة . حقيقة ان المسلمين بكريت قد استطاعوا فى المرحلة المبكرة من الفتح الإسلامى للجزيرة الوقوف وحدهم فى وجه البيزنطيين ، إلا اننا يجب أن نعلم ان بيزنطه وقتها كانت تعانى من الضعف بعد الظروف العصيبة التى مرت بها ، ولم تكن على نفس المستوى من القوة الذى كانت عليه أثناء عهد الأسرة المقدونية .

وهكذا سيطر الضعف والانحلال السياسى انحاء المشرق الإسلامى ، فى الوقت الذى أصبحت فيه الإمبراطورية البيزنطية فى أوج قوتها وعظمتها ، بعد أن اثمرت جهود الأباطرة المقدونيون منذ حكم مؤسس الأسرة باسيل الأول فى أقامة بيت امبراطورى ثابت الأركان ، وجعل الدولة البيزنطية أقوى دولة فى الشرق (١) . وكانت الأمور آلت إلى الإمبراطور رومانوس الثانى Romanus II اثر وفاة والده قسطنطين السابع فى ٩ نوفمبر ٩٥٩ م . وكان رومانوس آنذاك لايتجاوز العشرين من عمره ؛ وسيما ، ذا مواهب فكرية ، تلقى قدرا كبيرا من التعليم ، لكنه لم يبد اهتماما كبيرا بتصريف شئون الحكم بل تركها فى يد زوجته ثيوفانو Theophano ووزيره القدير جوزيف

(١) انظر الفصل الثالث من هذا البحث ص ١٤٥ .

يرينجاس Joseph Ptingas وقد حرص الأثنان على الأرتباط بعلاقات الود مع معظم ملوك وامراء ذلك العصر . فأرسلا بالمبعوثين اليهم لتحقيق ذلك الغرض (١) . والظاهر انهما كانا يهدفان من وراء ذلك إلى تكريس الجهود العسكرية البيزنطية من اجل استرداد كريت ، فلم تمض سوى شهور قليلة على بداية حكم رومانوس الثانى ، حتى شرع المسئولون البيزنطيون فى الأعداد لمحاولة جديدة لفتح كريت .

وقد روى اخبار هذا الفتح البيزنطى لكريت عدد غير قليل من المؤرخين البيزنطيين من بينهم ، الماجستر سيميون (٢) ، وصاحب صلة ثيوفان (٣) ، وكيدرينوس (٤) ، وزوناراس (٥) . على ان اكثر ماجاء عنه من تفاصيل هو ما أورده المؤرخان المعاصران ليون الشماس فى مؤلفه المعروف بإسم تاريخ ليون الشماس Leonis Diaconis Historiae (٦) ، وثيود وسيوس الشماس فى ملحته المسماه « فتح كريت » وهى باليونانية (٧) .أما المصادر العربية فلم تذكر شيئا عن تفاصيل فتح كريت : وان كان المؤرخ النويرى قد عرض لهذا الموضوع ، إلا انه لم يتوخ الدقة فيما ذكره من تفاصيل هذا الفتح فقد روى ان فتح الجزيرة تم بناء على خدعة احتال بها الإمبراطور رومانوس الثانى — الذى ذكره باسم ارماتوس — على امير كريت عبد العزيز

---

(1) Theophanes Continuatus, pp. 468—469.

راجع ايضا :

Ostrogorsky, op. cit., p. 251; C.M H., vol IV, p. 68.

(2) Symeon Magestri, pp. 758—760.

(3) Theophanes Continuatus, Liber VI, pp. 473—478.

(٤) كيدرينوس ، ص ص ٣٤٠ — ٣٤١ . باليونانية .

(5) Zonaras, Liber XVI, pp. 490—492.

(6) Leonis Diaconis Historiae, Liber 11, pp. 5—28.

(٧) تيودوسيوس الشماس ، فتح كريت ، ص ص ٢٦٣ — ٣٠٦ . باليونانية .

بن شعيب (١) . ولنستعرض ماذكره النويرى فى هذا الشأن ، قال « . . . . فأقبل الملك ارمانوس إلى عبد العزيز بن حبيب صاحب جزيرة اقريطش ، وتقرب اليه بالهدايا والتحف ، واظهر له المودة والمحبة ، فلما استحكمت الوصلة بينهم وتأكدت ، انفذ ارمانوس رجلا من المسلمين ومعه هدنة جليلة فلما حضر بين يدى صاحب اقريطش وقدم الهدنة قال له ، الملك يسلم عليك ويقول لك نحن جيران وأصدقاء وهؤلاء المساكين سكان الجزاير قوم ضعفاء فقراء ، وقد خلا اكثرها من خوفك وقلوبهم تحن إلى اوطانهم ، ولى فى ذلك بهم راحة وفايدة ، فان خف عليك ان تحسب مايحصل لك من غزوهم فى كل عام ، وانا اضاعفه لك اضعافا ، وتؤمهم وترفع عنهم الغزو وتفسح لهم السفر إلى جزيرتك ويتوجه التجار اليك ويحصل لك من الحقوق اضعاف مايحصل لك من الغزو ، فأجابه إلى سؤاله ، وتحالفا وتصالحا واتفقا على مال يؤدى فى كل عام . فوفى له ارمانوس بجميع ذلك ، وألزم التجار بالسفر إلى اقريطش والقسطنطينية وجميع الجزاير ، فكثرت اموال صاحبها وأخذ فى

---

(١) ذكره النويرى باسم عبد العزيز بن حبيب ، على أن الأصح هو عبد العزيز بن شعيب ، لان والده كان يدعى شعيب بن ابى حفص . اما المصادر البيزنطية فقد ذكرته باسماء مختلفة فأطلق عليه الماجستر سيميون اسم كوربهCurope ، وذكره صاحب صلة ثيوفان ، وكيدرينوس وزوناراس باسم كوروباس Curoupas ، والواقع انه لاتوجد اية صلة بين اسمه كما ورد فى المصادر البيزنطية والاسم الحقيق له ، وأن كان المؤرخ الفرنسى شلومبرجيه قد ارجع اسم كوروباس إلى انه تحريف للقب البيزنطى «قربلاط» Curopalate بمعنى «عميد القصر». انظر المصادر التالية :

ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٢٣٦ .

Symeon Magistri, op. cit., p. 759; Theophanes Continuatus, p. 477; Zonaras, p. 491.

كيدرينوس ص ٣٤٠

راجع ايضا :

Schlumberger, un Empereur Byzantin, p. 75, F.N. No «1».

رانسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٩١ .

جمع الأموال ، واختصر فى الطعآ (العطاء) للجند . ثم وقع بالقسطنطينية قحط وغلاء ، فانفذ الملك إلى صاحب اقريطش رسولا يقول ، قد وقع بالبلاد ماتصل بك من الجدب ، ولنا خيل برسم التاج تعز علينا ، فان رأيت ان تنفذها إلى الجزيرة ، وما نتجت من الذكور تكون للملك ، ومانتجت من الأناث فهو لك ، فأجاب إلى ذلك : فأرسل إلى الجزيرة خمسميئة فرس فى المراكب ومعها رعاتها ، فلما استقرت الخيل بالجزيرة عبى العساكر على تلطف واستخفا ، وقدم عليها بحضور الدمستق واجناد رجاله ، وذلك فى غرة المحرم سنة خمس (١) وثلثميئة ، فدخل الأسطول إلى الجهة التى فيها الأفراس وترك كل فارس بسروجه ولجامه ، فاجؤا اهل الجزيرة على غرة وغفلة فملكوها وقتلوا صاحبها ومن معه من الجند ، وعفوا عن قتل الرعية ، ووجدوا الأموال التى كانوا بذلوها مضاعفة فاخذوها وسبوا نساء الأجناد ودراريهم وسحبوها (وشحنوها) بالعدد والأجناد»(٢) .

والواقع ان هذا النص لايمكن الأخذ به لمجانبته للحقائق التاريخية التى وصلتنا من أكثر من مصدر بيزنطى وعربى على النحو الذى سيتضح فى ثنايا هذا الفصل . يضاف لذلك أنه لم ترد أية اشارة فى أى مصدر سواء كان عربيا أو بيزنطيا إلى صلح أو تحالف تم بين كريت وبيزنطه فى عصر رومانوس الثانى كما يدعى النويرى . ثم أن الفترة الزمنية التى تقع بين تولى رومانوس الثانى للعرش البيزنطى فى ٩ نوفمبر ٩٥٩م ، وتاريخ وصول الحملة البيزنطية امام كريت

---

(١) المقصود سنة خمسين وثلاثمائة ، وهو التاريخ الذى أتفقت عليه غالبية المصادر ، انظر على سبيل المثال ، يحيى الانطاكى : التاريخ ، ص ٨٤ (طبعة باريز) ، ياقوت : معجم البلدان جـ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٢) النويرى : نهاية الارب فى فنون الأدب ، جـ٢٢ ، لوحات ٢٤١ – ٢٤٢ . مخطوط مصور بمكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية برقم ٣٢ م .

فى يوليه ٩٦٠ م ، وهى فترة لاتزيد عن تسعة اشهر ، هذه الفترة لاتتيح تحقيق كل ماذكره النويرى خاصا بدفع بيزنطة « الجزية السنوية » لأمير كريت ، واتصال التجارة بين البلدين ، وامتلاءخزينة امير كريت بالأموال تبعا لذلك ، وغير هذا وذاك من التفاصيل التى اوردها النويرى فى هذا الشأن واخيرا فقد ذكر النويرى انه قد تم قتل امير كريت عبد العزيز بن شعيب على يد القوات البيزنطية ، لكن الثابت فى المصادر العربية والبيزنطية انه لم يقتل وانما أسر بعد ان قام بجهود عظيمة فى الدفاع عن الجزيرة (١) وانه حمل مع ابنائه إلى القسطنطينية حيث تم تشهيره هناك وبقى بها حتى وفاته (٢) . وهكذا يصبح من العسير التسلم برواية النويرى الخاصة بالفتح البيزنطى لكريت ويتحتم علينا الأعتماد اساسا على المصادر البيزنطية التى روت اخبار الفتح بكافة تفاصيلها .

لقد اسندت قيادة الحملة الجديدة المرسلة لأخضاع كريت إلى القائد نقفور فوقاس ، وكان هذا فى الواقع اختيارا موفقا ، لما امتاز به نقفور من صفات عديدة ، جعلته من اكفأ القادة البيزنطيين ، فهو ينتمى إلى عائلة من اكبر العائلات الإقطاعية فى آسيا الصغرى ، وكانت عائلته تمتلك أراضى واسعة فى اقليم قبادوقيا على طول الحد الإسلامى ، وقد انخرط معظم رجالها فى السلك الحربى وخدموا الإمبراطورية زمنا طويلا ، وأبلوا بلاءا حسنا فى الحروب التى خاضوها ضد اعدائها ، فان جده الذى يعرف بأسم نقفور ايضا حاز شهرة كبيرة بفضل ماقام به من أعمال جليلة فى ايطاليا وصقلية فى عصر الإمبراطور باسيل الأول ، وقام عمه ليو بأعمال مجيدة فى أثناء الحروب ضد

---

(١) انظر نفس هذا الفصل ، ص ٢٦٣ . راجع كذلك :

The Encyclopedia of Islam, vol I, London 1913, p. 879.

(2) Symeon Magistri, pp. 759—760.

انظر ايضا ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٢٣٦ .

البلغار ، اما والده بارداس فقد بلغ ارفع الوظائف العسكرية بفضل جهوده الحربية الطويلة ضد المسلمين على الجبهة الشرقية للإمبراطورية (١) ، . وحين بلغ بارداس مرحلة متأخرة من العمر ، اعفى من منصبه وحل محله ابنه الماجستر نقفور فوقاس كقائد عام (دمستقا) للقوات البيزنطية فى آسيا الصغرى (٢) .

وقد عرف عن نقفور مهارته فى القتال ، لذا فقد تعلق به الجنود إلى حد كبير ، وعن هذا الطريق استطاع ان يخوض بهم تلك المعارك الناجحة ، وعلى الأخص ضد المسلمين الذين كان تحطيم قوتهم العسكرية اقرب الأشياء إلى نفسه حتى اطلق عليه المعاصرون اسم « الموت الأبيض للمسلمين »(٣) وإلى جانب الصفات العسكرية التى امتاز بهـا نقفـور فوقاس ، فقـد حاز صفات اخرى مثل الصرامة والخشونة والتقوى وميله الشديـد لمصاحبة النساك ورجال الدين ، كما عرف عنه شدة الزهد والتقشف ، حتى قيل انه كان لاينام إلا على جلد نمر يفترشه فى أرض حجرته . وفى عبـارة موجزة فقد اجتمع فى نقفور صفة الجندى وصفة الراهب فى آن واحد (٤) .

---

(1) Schlumberger, un Empereur Byzantin, p. 41; C.M.H., vol IV, p. 69.
راجع كذلك ، عمر كمال توفيق : الامبراطور نقفور فوقاس ، ص ص ١٤ – ١٥ .

(٢) كان ذلك أثناء مباشرة الامبراطور قسطنطين السابع لمهام الحكم فى الامبراطورية البيزنطية (٩٤٤ – ٩٥٩ م) انظر :
Symeon Magistri, p. 758; Theophanes Continuatus, p. 40.

(3) Ostrogorsky, op. cit., p. 253.

(٤) عمر كمال توفيق : نقفور فوقاس واسترجاع الاراضى المقدسة ، ص ص ١٥ – ١٦ ، راجع ايضا :
Schlumberger, Un Empereur Byzantin au diieme Siécle, Nicephore Phocas, pp. 40—42, Finlay, History of the Byzantine Empire, p. 507; Ostrogorosky, History of the Byzantine State, p. 253; Rambaud, Etude sur L histoire Byzantine, p. 227; C.M.H., vol V, p. 70; Oman, The Byzantine Empire, pp. 228—230.

وهكذا كان نقفور فوقاس من ابرز رجال بيزنطة ، ومن أقدر المحاربين الذين هيأتهم الظروف لهذه الدولة فى تلك الفترة من تاريخها ، لذلك فقد وقع الأختيار عليه ليتولى قيادة الحملة البيزنطية الموجهة ضد كريت بشقيها البرى والبحرى.

لقد كانت هذه الحملة البيزنطية الجديدة المرسلة لأخضاع كريت ذات استعدادات برية وبحرية ضخمة ، وتكونت القوات البرية من خيرة جنود الثيمات البيزنطية الأوروبية والآسيوية ، فضمت مقاتلين من سهول تراقيا وجبال مقدونيا واهالى قبادوقيا وليكونيا والبونت ، كما اشتركت فيها عناصر متعددة مثل الأرمن والصقالبة والبجناك والخزر والروس (٢) . ولم يذكر المؤرخون البيزنطيون عدد القوات المقاتلة فى هذه الحملة ، وان كانت بعض المصادر العربية قد ذكرت ان هذه القوات بلغت اثنين وسبعين الف مقاتل من بينهم خمسةآلاف فارس (٣) .

أما القوات البحرية فقد تم جمعها من الثيمات البحرية البيزنطية مثل التراقيسيون وساموس وكبير هايوت ، وانفرد المؤرخ البيزنطى الماجستر سيميون من بين المؤرخين البيزنطيين والمسلمين ، بذكر اعداد السفن التى اشتركت فى هذه الحملة ، والتى بلغت ٣٣٦٠ سفينة مابين كبيرة وصغيرة منها الف من نوع الدرمونة ، والفان شلندية ، ٣٦٠ سفينة لنقل المؤن والخيل(٤) وقد يكون فى هذه الأعداد بعض المبالغة ولكنها تدل على ضخامة استعدادات هذه الحملة . وقد تجمعت كل هذه الأعداد الكبيرة من السفن امام القسطنطينية

---

(1) Symeon Magistri, p. 758.

(2) Diaconus, Liber I, p. 7.; Theophanes Continuatus, Liber VI, p. 476.

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٢٣٦ :

(4) Symeon Magistri, p. 758.

وفى يوم الرحيل (١) ، وعند شروق الشمس تم الاحتفال بتوديع الحملة . وقد ازدحمت كل المساحة الواسعة من المياه الواقعة بين القرن الذهبى من ناحية وكريسوبوليس وخلقيدونية من الناحية الأخرى بسفن الأسطول المتعددة الألوان ، كما ازدحمت القصور وشرفات المنازل الواقعة على الشاطىء بالجماهير التى جاءت لتوديع الحملة . وعلى رصيف ميناء بوكوليون Boucolion وهو الميناء الخاص بالأمبراطور والملحق بالقصر الإمبراطورى ، جلس الإمبراطور رومانوس الثانى على عرش من المعدن الثمين أعد خصيصا لهذه المناسبة ، ومن خلفه جلس بطريك القسطنطينية واصحاب المناصب العليا فى الدولة من الاكليركيين والعلمانيين وأعضاء السناتو ، وقد ارتدى الجميع افخر الثيات الموشاه بالذهب ، ومن خلفهم جلست زوجات رجال الدولة كل بحسب منصب زوجها . واخذت الهتافات تتعالى بينما الصلوات تقام فى جميع كنائس العاصمة ، والمرتلون ينشدون الأناشيد الدينية ويبتهلون إلى الله ان يهب النصر لهذه الحملة ، ثم ساد الصمت ونزل البطريرك حيث بارك سفن الأسطول ، ووقف الإمبراطور واعطى اشارة بدء تحرك الحملة ، وبينما الأسطول يأخذ طريقه فى مياه البروبونتيز متجها إلى كريت ، كانت هتافات الجماهير تدوى من كل ناحية (٢).

---

(١) لتحداد المصادر اليوم الذى تم فيه رحيل الحملة إلى كريت تحديدا دقيقا ، وقد ذكر المؤرخ الفرنسى شلومبرجيه أن هذا اليوم يقع بين الايام الاخيرة من شهر يونيه ٩٦٠ م أو الايام الأولى من شهر يولية من نفس السنة . وأغلب الظن أن هذا الترجيح صحيحا خاصة وأن المؤرخ يحيى الانطاكى قد ذكر أن نقفور وصل أمام كريت فى النصف من جمادى الأول سنة ٣٤٩ هـ وهو يوافق منتصف شهر يوليه ٩٦٠ م . أنظر ، يحيى الانطاكى : التاريخ ، ص ٨٤ (طبعة باريز) .

Schlumberger, Un Empereur Byzantin, p. 67.

(2) Schlumberger, Un Empereur Byzantin, pp. 67—68.

وقد وصلت القوات البيزنطية امام جزيرة كريت فى منتصف يوليو ٩٦٠ (منتصف جمادى الأول ٣٤٩ هـ) (١) ، ويذكر كل من صاحب صلة ثيوفان ، وليون الشماس ، وكيدرينوس ، ان القوات البيزنطية استطاعت النزول إلى ارض الجزيرة دون أن تصادف الكثير من المصاعب ، غير انهم لم يحددوا مكان نزول هذه القوات تحديدا دقيقا ، ولم نعثر فى المصادر الأخرى على مايفيد فى هذا الشأن . وعلى الفور امر نقفور بفرض الحصار البحرى على الجزيرة ، فتفرقت سفن الأسطول وأحاطت بها من جميع الجهات ، لتحول دون وصول أية مساعدات عسكرية اليها من المسلمين فى الشام ومصر وشمال افريقية والأندلس (٢) .

وقد بدأ نقفور العسكرية على ارض الجزيرة ، بأن ارسل كتيبة من الكشافة بقيادة الأستراتيجوس باستيلاس Pastilas ، حاكم ثيم التراقيسيون وهو واحد من اقدر القادة فى الحملة كلها ، وكانت مهمة هذه الكتيبة استطلاع مدى الإمكانيات العسكرية للمسلمين ، لكن الروس وباقى العناصر البربرية التى اشتركت فى هذه المهمة الأستطلاعية ، اخذت بمارأته من غنى الحقول فى الجزيرة ووفرة خيراتها ، فانشغلوا بجمع هذه الخيرات ، وبعد أن توغلوا إلى داخل الجزيرة ، هاجمهم المسلمون على حين غرة ، وابادوا افراد الكتيبة اما قائدها باستيلاس فقد أخذوه اسيرا (٣) . وقد كان لهذا الحادث اسوأ الأثر فى نفس نقفور فقرر توجيه ضربة كبيرة وحاسمة للمسلمين بكريت ،

---

(١) يحيى الانطاكى : التاريخ ، ص ٨٤ ، (طبعة باريز) .

(2) Theophanes Continuatus, p. 476; Leon Diaconus, pp. 7—8;

(٢) كيدرينوس ، موجز لتاريخ ، ص ٣٤٠ .

(3) Leon Diaconus, pp. 8—10.

وذلك بحصار مدينة الخندق ذاتها عاصمة الجزيرة . ويذكر المؤرخون البيزنطيون ان الجيش البيزنطى سار خلال اقليم مزدهر بالمحاصيل الزراعيـة واشجار الفاكهة حتى وصل إلى الخندق ، ففرض عليها حصارا قاسيا من البر بينما احاطت بها سفن الأسطول من البحر (١) .

أما مدينة الخندق التى كانت هدفا لهذا الحصار ، فهى تقع على الساحل الشمالى لجزيرة كريت ، إلى الشمال الشرقى من جبل ايد العظيم ، وتحميها من جهة البحر صخرة ضخمة شديدة الأرتفاع ، هيأت للمدينة الحماية الطبيعية من هذه الجهة ، اما الجهات الاخرى فحمتها اسوار (٢) منيعة مرتفعة ، على درجة كبيرة من الأتساع حتى كان اتساعها يسمح بأن تسير فوق قمتها عربتان من عربات الحرب فى وقت واحد . وقد شيد المسلمون فوق هذه الأسوار ابراجا حصينة اذهلت الجنود البيزنطيين المشتركين فى الحملة . كما احاط بالمدينة خندق دائرى ضخم حفره المسلمون حولها منذ بداية فتحهم الجزيرة فى عام ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، واستمر قائما حتى ذاك الوقت . وقد بذل امير كريت عبد العزيز بن شعيب جهدا كبيرا فى تقوية وسائل الدفاع عن المدينة والجزيرة بصفة عامة ، ومنع تزويد البيزنطيين بأية مؤن (٣) .

على أن جماعة من المسيحين من اهالى كريت ، قد اضطلعوا بدور هام فى هذا الصراع البيزنطى الإسلامى ، فقاموا باتلاف المحاصيل الزراعية ، وقطع اشجار الفاكهة ، واحراق القرى الإسلامية ، حتى يضار المسلمون

---

(1) Leon Diaconus, p. 11.

(٢) ذكر المؤرخ البيزنطى ليون الشماس ، أن حوائط هذه الاسوار ليست من الطوب وانما من الطين المخلوط بشعر الماعز والخنازير حتى يزيد من تماسكها . انظر ،

Leon Diaconus, p. 11.

(3) Leon Diaconus, p. 12.

بهذا الحصار ، كما طافوا بالمدن والقرى فى انحاء الجزيرة ، يثيرون الأشاعات المغرضة ويحثون على الاستسلام (١) . ولم توضح المصادر الأسباب التى دفعت المسيحين بكريت إلى اتيان مثل هذه التصرفات المعادية للمسلمين ، وان كانت هناك اشارة اوردها المؤرخ البيزنطى جينزيوس عند تعرضه لفتح المسلمين لكريت ، ذكر فيها ان الفاتحين المسلمين قد خصصوا مدينة واحدة من الجزيرة للمسيحين لكى يمارسوا فيها شعائرهم الدينية ، ولم يسمحوا لهم بالأختلاط بهم (٢) . ويفهم من ذلك ان المسيحيين بكريت قد عاشوا منبوذين فى ظل الحكم الإسلامى لهذه الجزيرة . على انه من العسير التسليم بهذا الادعاء ، مع ماعرف عن المسلمين بصفة عامة من التسامح لدبنى مع اهالى الذمة (المسيحيين واليهود) فى البلاد المفتوحة . ولكى نفهم هذا التصرف من جانب المسيحيين بكريت ، يجب ان نعلم ان الدين المسيحى كان فى النهاية صلة ربط بين هؤلاء الكريتيين المسيحيين والدولة البيزنطية ، خاصة وان العوامل الرئيسية التى كانت مثار نزاع بين مسيحيى كريت وبيزنطه عند الفتح الإسلامى للجزيرة(٣) كانت قد انتهت منذ امد بعيد وذلك بعودة بيزنطة إلى الخط القويم للأرثوذكسيه فى عام ٨٤٣ م (٤) .

ومهما كان الأمر ، فحين اشتد الحصار على المسلمين بكريت ، أخذوا فى الأستغاثة بالقوى الإسلامية فى المشرق ، وقد انفرد المؤرخ الشيعى النعمان من بين المؤرخين المسلمين و لبيزنطيين على انسواء ، بالأشارة إلى سفارة ارسلها امير كريت عبد العزيز بن شعيب إلى الدولة الأخشيدية لطلب المساعدة

---

(1) Ibid, p. 12.

(2) Genesius, p. 47.

(٣) انظر الفصل الاول من البحث ص ص ٦٨–٧١.

(٤) انظر الفصل الثانى من هذا البحث ، ص ١٣٣ .

العسكرية (١) . وكان كافور هو المسيطر على الأمور بمصر آنذاك لكنه لم يبد اهتماما يذكر لأجابة هذا الرجاء ، ولم يوضح النعمان اسباب ذلك ، ولكن من المحتمل ان يكون السبب هو الأضطراب الذى ساد مصر وقتذاك بسبب الصراع من اجل السلطة بين صاحب الحق الشرعى فى الحكم وهو ابى القاسم اونوجور بن محمد بن طغج الأخشيدى (٣٣٤ – ٣٤٩ هـ / ٩٤٦ – ٩٦٠م) والوصى عليه كافور ، وما ادى اليه ذلك من انقسام بين الجند بمصر ، اذ انضم فريق إلى كافور عرفوا باسم الكافورية ، وانضم فريق آخر إلى اونوجور عرفوا بالأخشيدية (٢) ، وكان هؤلاء الاخيرون يدينون بولائهم المباشر للإخشيديين ، ومن ثمة لم يكن لكافور عليهم اى سلطان ، فاذا رغب فى اغاثة اهالى كريت كان عليه ان يرسل بجنده الكافورية فيفقد بذلك السند الذى يعتمد عليه فى مواجهة الصراع مع الإخشيديين فيسهل حينئذ ابعاده عن الحكم .

ولكن العامة بمصر ثاروا ، وأعلنوا عن سخطهم لعدم اتخاذ السلطات الحاكمة موقفا ايجابيا بشأن نجدة اخوانهم اهالى كريت . ورغبة من كافور فى كسب ولائهم وتأييدهم ، انزل عدة سفن إلى البحر وتظاهر بأنه يعدها للابحار إلى كريت واغاثة اهلها (٣) . ولم يكن ذلك فى واقع الأمر اكثر من مظاهرة سياسية لتهدئة الموقف المتوتر .

---

(١) النعمان : المجالس والمسايرات ، جـ٢ ، لوحة ٤١٦ ، مخطوط مصور ، موجود بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٢٦٠٦٠ .

(٢) للمزيد من المعلومات عن هذا الصراع ، انظر :
ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى اخبار مصر والقاهرة ، جـ٣ ، ص ٢٩١ – ٢٩٢ ، جـ٤ ، ص ٢ ، المقريزى : الخطط ، جـ٢ ، ص ٢٧ . راجع ايضا : سيدة كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين ، ص ١٢٥ – ١٢٧ .

(٣) النعمان : المجالس والمسايرات ، جـ٢ ، ص ٤١٧ .

اما الأمير سيف الدولة بن حمدان حاكم امارة حلب بشمال الشام (٣٣٣ – ٣٥٦ هـ / ٩٤٤ – ٩٦٧ م) فقد ارسل جيشا على رأسه امير طرسوس لنجدة المحاصرين بكريت (١) . ولم توضح المصادر ماإذا كان ذلك جاء نتيجة لأستغاثة اهالى كريت بسيف الدولة ، ام انه كان تصرفا تلقائيا منه بوصفه الزعيم الأول وحامل لواء الجهاد ضد البيزنطيين فى المشرق الإسلامى فى ذلك الوقت ، وتحقيقا لسياسته فى هذا المجال ، وامتدادا لمبدأ التعاون بين الشام وكريت هذا المبدأ الذى سار عليه الطرفان منذ الشطر الثانى من القرن التاسع الميلادى (٢) على ان هذه المحاولة باءت بالفشل ولم تحقق هدفها ، اذ ان قوات ثيم التراقيسيون اعترضت طريق امير طرسوس واجبرته على العودة من حيث اتى (٣) .

وحين وجد اهالى كريت انهم لن يحصلوا على مساعدة جدية من مسلمى المشرق ، ولوا وجوههم شطر المغرب الإسلامى ، وقد انفرد المؤرخ البيزنطى صاحب صلة ثيوفان من بين المؤرخين البيزنطيين بذكر السفارة التى أرسلها الكريتيون إلى الأندلس ، والسفارة الثانية التى بعثوا بها إلى شمال افريقية لطلب المساعدة العسكرية (٤) أما المؤرخون المسلمون فلم يشر احد منهم إلى السفارة الكريتية للأمويين بالأندلس ، أما سفارتهم إلى الخليفة المعز بشمال افريقيا ، فقد أشار اليها ابن الأثير اشارة سريعة (٥) ، على حين انفرد المؤرخ الشيعى النعمان بسرد تفاصيلها (٦) .

---

(1) Schlumberger, Un Emperour, p. 82; Diehl et Marcais, le mond orientale., p. 462.

(٢) انظر الفصل الثالث من هذا البحث ص ١٧٤ ومابعدها .

(3) Schlumberger, op. cit , p. 82.

(4) Theophanes Continuatus, op 477

(٥) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ٧ ، ص ٥ .

(٦) النعمان : المجالس والمسايرات ، جـ٢ ، ص ٤١١ – ٤٢٣ .

وقد ارسل عبد الرحمن الناصر (ربيع الأول ٣٠٠ – رمضان ٣٥٠ هـ / ديسمبر ٩١٢ – نوفمبر ٩٦١ م) امير الأندلس ، رسولين إلى مدينة الخندق لاستطلاع مدى حاجة اهاليهاللمساعدة(٤).لكن لم يرد بالمصادر ذكر لأيةمساعدة ارسلها الأمويون إلى كريت ، وقد ارجع المؤرخ الفرنسى شلومبرجيه السبب فى ذلك إلى احكام نقفور فوقاس للحصار البحرىعلى الجزيرة بشكل لم يسمح للأمويين باختراق هذا الحصار (٢). على انه من العسير التسليم بهذا الرأى، بعد ماثبت من ارسال الدولة الفاطمية بمساعدات عسكرية لكريت تمكنت من النزول على ارض الجزيرة بالفعل (٣) . والراجح ان الأمويين لم يكونوا صادقى العزم على مساعدة كريت ، ويبدو انهم لم ينسوا ان مسلمى كريت هم من سلالة الأندلسيين المشاغبين الخارجين على الطاعة ، اصحاب ثورة الربض . يضاف إلى ذلك ، ان المشاكل الداخلية التى عانى منها الأمراء الأمويون إلى جانب تباعد الحدود بين الأمويين والبيزنطيين ، كل ذلك ادى إلى ابتعاد الأمويين عن خضم الصراع الدائر بين البيزنطيين والمسلمين فى المشرق .

اما التجاء اهالى كريت إلى الخلافة الفاطمية الشيعية فى المغرب ، رغم انهم كانوا يدينون بالولاء السياسى للخلافة العباسية ويعتنقون المذهب السنى (٤) فهذا امر على جانب كبير من الخطورة ، نظرا لما سيترتب عليه من تغييرات سياسية ومذهبية خاصة بامارتهم . ويذكر المؤرخ الشيعى النعمان ، ان اهالى كريت لم يلجأوا للخليفة الفاطمى المعز لدين الله الا بعد أن « علموا انه ليس

---

(1) Schlumberger, Un Empereur Byzantin, p 82.

(2) Ibid, p. 82.

(٣) انظر ص ص ٢٥٧–٢٦٠ من هذا الفصل .

(٤) النعمان : المجالس والمسايرات ، جـ٢ ، ص ٤١٢ .

عند بنى العباس صح نهضة » (١) ، فهل معنى ذلك ان اولى الأمر بكريت استنجدوا بالعباسيين ولم يجدوا منهم استجابة ، أم انهم ادركوا بثاقب نظرهم وتفهمهم لحقيقة الأوضاع فى الدولة العباسية انهم لن يحصلوا على مساعدة جدية من جانبها ، فاتجهوا للخليفة المعز مباشرة ، ودون ان يبذلوا محاولة فعلية للأستغاثة بالعباسيين .

الواقع انه لم يرد بالمصادر سواء العربية أو البيزنطية اية اشارة إلى التجاء الكريتيين إلى الخلافة العباسية بشأن طلب نجدتهم من المحنة التى يتعرضون لها ، والغالب انهم لم يقوموا بمحاولة مافى هذا الشأن ، والا لكان المؤرخون المسلمون وخاصة المشارقة منهم قد تعرضوا لها ، خاصة وان بعضهم مثل ابن الاثير قد اشار إلى سفارة الكريتيين إلى الخليفة المعز بالمغرب ، وكان الأحرى به ان يذكر سفارتهم إلى العباسيين ان كانت قد حدثت بالفعل .

وعلى أية حال ، فقد ارسل الكريتيون إلى الخليفة المعز بشمال افريقية ، سفارة على رأسها احد وجهاء كريت ، واخذ اعضاء هذه السفارة يتضرعون إلى الخليفة المعز لدين الله ويسألونه اغاثتهم ونجدتهم ، ووعدوه بأن أهالى كريت سيدينون له بالولاء بعد انتصارهم على الدولة البيزنطية ، كما اخذوا فى اظهار مميزات جزيرتهم واحتوائها على الخيرات والمعادن ، وشهرتها فى انشاء الأساطيل ، كما اوضحوا له ان قرب جزيرتهم من مصر مما يهيىء له فتحها فى المستقبل ، وكانت هذه لمحة ذكية صدرت من هؤلاء الرسل نظرا لحساسية موضوع مصر بالنسبة للخلافة الفاطمية ، التى كانت تسعى جاهدة لفتحها (٢) كذلك فقد اخذوا يؤكدون له ان قرب المسافة بين كريت والقسطنطينية

---

(١) النعمان : المجالس والمسايرات ، جـ٢ ، ص ٤١٢ .

(٢) انظر محاولات الفاطميين فتح مصر فى ص ص ٢٦٧-٢٦٨ من هذا الفصل .

سوف يتيح للفاطميين اتخاذها قاعدة لعملياتهم العسكرية ضد العدو البيزنطى وماسيكون لذلك من اثر فى كسب الرأى العام الإسلامى إلى صفهم وتأليبه على الدولة العباسية التى تتقاعس عن حمايتهم ونصرتهم (١) وقد استجاب لهم الخليفة المعز ، ووعدهم بأرسال انجدات اليهم « فى اول وقت الإمكان من الزمان»(٢) واحتجز رئيس الوفد ، إلى أن يعود إلى كريت مع الأساطيل الفاطمية ، وأمر بأرسال رسولين من قبله إلى أهالى كريت لاخبارهم بعزمه على اغاثتهم واستنقاذهم من محنتهم (٣) . وقد برر الخليفة المعز أن استجابته هذه انما الغرض منها « القيام بما وجب الله تع علينا من الجهاد لعدونا ، واستنقاذ من اناب الينا من امة جدنا ، ونصرتهم ومعونتهم (٤) . » على انه مما لاشك فيه ان الخليفة المعز وجد فى تلبية مطالب اهالى كريت مايحقق آماله الواسعة فى مد نفوذه إلى المشرق الإسلامى ، لأن من يستولى على هذه الجزيرة يسهل عليه حينئذ فتح مصر والبلاد الواقعة على الساحل الشرقى للبحر المتوسط كذلك وهو ماكان يهدف اليه الفاطميون .

وقد شرع الخليفة المعز على الفور فى اتخاذ الخطوات الإيجابية بشأن مساعدة اهالى كريت ، وأمر بأعداد الأساطيل لهذا الغرض ، ثم أرسل كتابا إلى الإمبراطور البيزنطى رومانوس الثانى ، الذى كان مرتبطا معه بهدنة (٥) ، اخبره فيه بعزمه على الوقوف بجانب أهالى كريت واغاثتهم ، وانذره بنقض

---

(١) النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ٤٢١ .
(٢) النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ٤٢٣ .
(٣) النعمان : المجالس والمسايرات ، جـ٢ ، ص ٤٢٢ .
(٤) نفس المصدر : جـ٢ ، ص ص ٤٢٢ – ٤٢٣ .
(٥) تم إبرام هذه الهدنة فى اوائل عهد الامبراطور رومانوس الثانى ، وكانت مدتها خمس سنوات ولم يكن أجلها قد انتهى بعد ، انظر ، النعمان : المجالس والمسايرات ، جـ٢ ، ص ٤١١ .

الهدنة المعقودة بينها ، اذا استمرت القوات البيزنطية فى حربها ضد الكريتيين واختتمه بقوله : « وعهدك اذا تماديت على حرب من أناب الينا منبوذ اليك فانظر لنفسك ولأهل ملتك ، فانا مناجزوك وأياهم الحرب ، بعون الله وتائييده ، ولاحول ولاقوة الا به (١) »

كذلك أرسل الخليفة المعز لدين الله كتابا (٢) إلى كافور الاخشيدى ، المسيطر على الأمور فى مصر يطلب منه توحيد كلمة المسلمين وتظافرهم على عدوهم لأعزاز دين الله . كما طلب منه كذلك ، عدم التقاعد عن نصرة اهالى كريت ، خاصة وان دعوتهم واحدة ، والصلات بينها كثيرة نظرا لقرب المسافة بين مصر وكريت ، وفى النهاية عرض عليه التعاون معا لنجدة اهالى كريت ، بأن يرسل الأساطيل المصرية لتجتمع بالأساطيل الفاطمية فى مرسى طنبة من ارض برقة لأقتراب هذا المرسى من جزيرة كريت . وقد تعهد الخليفة المعز لكافور بعدم الحاق اى اذى بالأساطيل المصرية ، فقال موضحا ذلك « . . . وان تخشى على من تبعث به وعلى مراكبك منا . فلك علينا عهد الله وميثاقه ، انا لانكون معهم الا بسبيل خير ، وانا نحلهم محل رجالنا ونجعل ايديهم مع ايدينا ، ونشركهم فيما افاء الله علينا ، ونقيمهم فى ذلك وغيره مقام رجالنا ، ومراكبك مقام اساطيلنا حتى يفتح لنا ان شاء الله ثم ينصرفوا اليك على ذلك ، او يكون من امر الله وقضاءه ماهو فاعله ، فاعلم ذلك ، وثق به منا ، ففى تظافر المسلمين على عدوهم ، واجتماع كلمتهم اعزاز لدين الله ، وكبت لأعداءه ، فقد سهلنا لك السبيل ، والله على مانقول وكيل . »

(١) انظر النص الكامل لهذا الكتاب مع التعليق عليه ، فى الملحق رقم (٣) من هذا البحث .
(٢) انظر نص هذا الخطاب مع التعليق عليه فى الملحق رقم (٤) من هذا البحث .
(٣) النعمان : المجالس والمسايرات ، جـ٢ ، ص ٤١٦ .

ولكن يبدوا أن كافور لم يثق فى تأكيدات الخليفة المعز ، بالأضافة إلى ماسبقت الأشارة اليه من المشاكل الداخلية التى عانت منها مصر آنذاك (١) . لذلك لم تلق دعوة المعز أية استجابة ، اذ لم يرد بالمصادر اشارة ما إلى قيام تعاون بين كافور والفاطميين بشأن كريت ، ولهذا فقد اضطلع الفاطميون بالمهمة وحدهم . ففى اشارة اوردها ابن الأثير يفهم منها ان الخليفة المعز ارسل بالفعل قوات لنجدة الكريتيين (٢) . غير انه لم يمدنا بأية معلومات عن اعداد هذه القوات او تفاصيل المعركة بينها وبين القوات البيزنطية .

وان كان ابن الأثير وغيره من المؤرخين المسلمين قد اغفلوا تفاصيل هذه المعركة ، الا ان المصادر البيزنطية قد اوردت بعض المعلومات اليسيرة عنها ولكنها تمتاز بقيمتها وأهميتها ، فقد روت هذه المصادر انه بعد وصول القوات الفاطمية إلى كريت اتحدت مع قوات المسلمين بها ، وسار هذا الجيش الذى بلغ تعداده اربعون الف مقاتل للهجوم على المعسكر البيزنطى ، لكن اثنين من المرتدين إلى الدين المسيحى من اهالى كريت ، تسللوا واخبروا نقفور فوقاس بالخطط التى اعدها الجيش الإسلامى ، وعلى الفور اتخذ نقفور جانب المبادرة

---

(١) انظر ص٢٥٣ من هذا الفصل .

(٢) قال ابن الاثير فى حوادث سنة ٣٥١ هـ «وفيها سار جيش من الروم فى البحر إلى جزيرة اقريطش ، فأرسل أهلها إلى المعز لدين الله العلوى صاحب افريقية يستنجدونه ، فأرسل اليهم نجدة ، فقاتلوا الروم ، فانتصر المسلمون ، واسر من كان بالجزيرة من الروم .» وواضح أن الامر التبس على ابن الاثير فى تأريخه للحملة البيزنطية على كريت ، اذ ذكره فى حوادث عام ٣٥١ هـ (فبراير ٩٦٢ – يناير ٩٦٣ م) ، والمعروف أن هذه الحملة قد حدثت فى صيف عام ٩٦٠ م (٣٤٩ هـ) . كما التبس عليه الامر كذلك فيما ذكره خاصا بنتائج المعركة بين المسلمين والبيزنطيين إذ تؤكد الحقائق التاريخية انتصار البيزنطيين فى هذه المعركة وغيرها من المعارك التى اسفرت عن فتحهم للجزيرة ، انظر ابن الاثير : الكامل ، جـ٧ ، ص٥

وقام بمفاجأة القوات الإسلامية بالهجوم عليها ، فشتت شملها ، وقتل العدد الاكبر منها (١).

وهكذا فشلت المحاولة التى قام بها الفاطميون لأنقاذ كريت من قوات الاحتلال البيزنطى ، ولم تأت المصادر بشىء عن محاولات أخرى قامت بها الدولة الفاطمية فى هذا المجال ، ويبدو ان الخليفة المعز رأى من الأفضل عدم المغامرة بقواته وأساطيله فى محاولات اخرى غير مضمونة النتائج ، خاصة وانه كان فى أشد الحاجة لهذه القوات لاستخدامها فى فتح مصر .

وبعد ان احرز نقفور فوقاس هذا الأنتصار العسكرى ، قام بمحاولة نفسية لارهاب المدافعين عن اسوار مدينة الخندق واهاليها وادخال الرعب إلى قلوبهم ، فأمر بجمع رؤوس القتلى المسلمين ، بعد أن آثار حماسة رجاله لهذه العملية الوحشية بدفع قطعة فضية لكل جندى يأتى له برأس قتيل مسلم ، وبعد أن تجمعت لديه اعداد كبيرة منها ، أمر بألقائها إلى داخل المدينة (٢) .

على ان المعسكر البيزنطى بدأ يعانى من شدة البرد فى فصل الشتاء من عام ٩٦٠ م / ٣٤٩ هـ ، وكذلك من قلة المؤن ، خاصة وان القحط فى تلك السنة كان عاما بالنسبة لبلاد الشرق . لكن الوزير البيزنطى برينجاس بذل جهودا مضنية حتى تمكن من ارسال المؤن اللازمة إلى المعسكر البيزنطى وذلك فى اوائل عام ٩٦١ م / ٣٥٠ هـ كما ارسل نجدات عسكرية أخرى بقيادة ليون فوقاس شقيق نقفور (٣) .

---

(1) Leon Diaconus, pp. 13—14.

(2) Ibid, pp. 14—15

(3) Ibid, p. 24; Zonaras, p 491.

وتذكر المصادر قيام المسلمين بكريت بمحاولة ثانية للهجوم على المعسكر البيزنطى ، ومصدرنا الرئيسى فى هذا الموضوع هوثيودوسيوس الشماس ، إذ عرض فى الفصل الثانى من ملحمته وصفا لهذا الهجوم الذى قامت به قوات من الكريتين المسلمين بلغ عددها ١٥٠٠ فارس و ٣٦ ألف مقاتل من المشاه . وقد وصلت أنباء عزم المسلمين على القيام بهذا الهجوم إلى نقفور فوقاس عن طريق الجواسيس من أهالى الجزيرة المسيحيين ، فأجتمع هو الآخر بجنوده والهب حماسهم بخطبة ألقاها عليهم ، وأوضح فيها خططه لملاقاة هذا الهجوم ، وفى ختام حديثه ، تعالت الهتافات من جانب الجنود بحياة الامبراطور رومانوس الثانى والد الشعب ، وحددوا العهد لنقفور بالموت فى سبيل النصر (١)

وفى اليوم (٢) الذى حدده المسلمون للهجوم ، اتخذ امير كريت عبد العزيز بن شعيب مكانه على برج مرتفع على سور مدينة الخندق لكى يقود المعركة بنفسه من هذا المكان ، وفتحت بوابات المدينة ، فاندفع المقاتلون المسلمون لمهاجمة المعسكر البيزنطى ، وحسب خطة نقفور ، تظاهر الجنود البيزنطيون بالفزع ، واخذوا يفرون امام قوات المسلمين ، التى انخدعت واخذت فى مطاردتهم ، وبعد أن تفرقت وتشتت شملها ، اطبقت عليها القوات البيزنطية من كل مكان وأوسعتها تقتيلا ، فتزاحم افراد القوة الإسلامية عائدين إلى داخل المدينة ، ولما رأى امير كريت كثرة عدد الفارين منهم ورغبة منه فى ارغامهم على القتال ، امر باغلاق بوابات المدينة ، وكان ذلك مما زاد فى عدد القتلى المسلمين إلى درجة خطيرة ، فلم يجد بدا من فتح البوابات مرة اخرى لأنقاذ البقية الباقية منهم (٢) .

---

(١) انظر كتاب ثيودوسيوس الشماس وهو باليونانية ، ص ص ٢٨٣ – ٢٨٦ .

(٢) لم يذكر ثيودوسيوس الشماس تاريخ هذه المعركة ، ولم يرد بالمصادر الاخرى شئ عن هذا التاريخ .

وبعد هذه المعركة حدثت بعض المناوشات المتقطعة بين الطرفين تخللت عملية الحصار وكان ذلك فى اوائل عام ٩٦١ م . وفى يوم ٧ مارس ٩٦١ م / المحرم ٣٥٠ هـ ، قام البيزنطيون بهجوم كبير على مدينة الخندق ، كلل بالنجاح واسفر عن فتح هذه المدينة الحصينة . ففى صباح ذلك اليوم طاف الدمستق نقفور فوقاس محاطا بالقادة ورجال الدين واخذ فى تقويه عزائم جنوده ، ثم اعطى اشارة البدء بالهجوم ، فشرع الجنود فى وضع آلاتهم الحربية على الأماكن التى وقع عليها الاختيار من السور واخذوا فى رجها بقوة ، كما امطروا المدافعين عن الأسوار بوابل من السهام والحجارة والنيران الإغريقية ، وبذلك نجح البيزنطيون فى عمل ثغرة كفلت لهم العبور خلالها إلى داخل المدينة ، فتدفقوا اليها كالاعصار حيث قاموا بقتال السكان من ركن إلى ركن ومن منزل لآخر ، ووقعت مذبحة مروعه قتل فيها جيش نقفور النساء والشيوخ والأطفال العزل من السلاح ، وقد افاض المؤرخ البيزنطى ثيودوسيوس الشماس فى وصف هذه المذبحة ، وصور الأطفال المسلمين وهم يبكون امهاتهم وهم يرونهن يلقين حتفهن امام اعينهم ، أو مكبلات فى الأسر يسومهن الجنود البيزنطيون الوان العذاب . على ان شباب المسلمين من ابناء الخندق سرعان ما جمعوا انفسهم وصمموا على القتال ورد البيزنطيين ، فاشتبكوا معهم فى معارك ضارية اوقعوا بهم خلالها خسائر كبيرة فى الأرواح ، ففزع البيزنطيون واخذوا يفرون من المدينة عائدين إلى معسكرهم ، وحين لمس نقفور مدى فزعهم قفز بفرسه إلى داخل المدينة واخذ يهدىء من روعهم ، ويحثهم على معاودة القتال ، وكان لذلك أثره فى رفع معنوياتهم من جديد ، والانتصار على آخر مقاومة أبداها المسلمون فى مدينة الخندق (١) .

---

(١) ثيودوسيوس الشماس : فتح كريت ، ص ص ٢٩٢ – ٣٠٠ ، باليونانية .

وبسقوط مدينة الخندق العاصمة ، استسلمت باقى مدن الجزيرة ، فقدمت الوفود الاسلامية من هذه المدن تعلن لنقفور الاستسلام وتطلب الامان. وبعد أن اطمأن إلى استسلام الجزيرة كلها ، قام بتنظيم الادارة بها فعين لحكمها أحد أتباعه ، الذى اتخذ لقب استراتيجوس Strategus ، رأس مجموعة كبيرة من الموظفين الاداريين . هذا ، ولم يجد البيزنطيون أفضل من مدينة الخندق لاتخاذها عاصمة للجزيرة ، وقد شيد نقفور على ربوة مرتفعة إلى جوارها قلعة حصينة اطلق عليها اسم تيمنوس Temenos ، وامتازت هذه القلعة بالحصانة والمناعة وبكثرة الاخاديد والانهار المحيطة بها . وقد زود نقفور هذه القلعة بحامية من الجنود الارمن والبيزنطيون ، كما زود الجزيرة كلها بقوات عسكرية كبيرة لحراستها ، بعد أن عادت كريت من جديد موقعا بيزنطيا متقدما للامبراطورية لصد غارات مسلمى شمال افريقية وآسيا الصغرى (١) .

وقد سارع نقفور بأرسال نبأ فتح جزيرة كريت إلى الامبراطور البيزنطى رومانوس الثانى ، الذى أمر بإذاعته رسميا على الشعب ، فتقبلته الجماهير بفرح بالغ ، وحظى نقفور فوقاس بشعبية كبيرة ، وأطلقوا عليه لقب «الظافر» كالينيكسوس Kallinixos ، وقد ارسل اليه الامبراطور رومانوس يستدعيه إلى القسطنطينية للاحتفال بهذا الفتح العظيم الذى تم على يديه ، فلبى نقفور الدعوة ، وعاد إلى العاصمة مصحوبا بالاسرى المسلمين من وجهاء كريت ، وعلى رأسهم حاكمها السابق الامير عبد العزيز بن شعيب وابنائه(٢) ويقال أن نقفور حمل معه إلى القسطنطينية من الاموال والاسرى نحوا من

---

(1) Leon Diaconus, p 28

(2) Leon Diaconus, p 28; Zonaras, p. 492.

انظر كذلك كتاب ثيودوسيوس الشماس وهو باليونانية ، ص ٣٠٢ .

ثلاثمائة مركب (١) . وقد تم الاحتفال فى بيزنطة بهذا الانتصار حسب التقاليد المتبعة آنذاك (٢) .

وقد تم اول هذه الاحتفالات فى « الهيبودروم (٣) » حيث استعرض الأسرى امام الإمبراطور والإمبراطورة ورجال البلاط وعامة الشعب ،وفى وسط التراتيل والهتاف احضر الأمير الأسير ووجهاء دولته ، وشهروا فى الهيبودروم ، ثم أمسك دمستق القوات الاسكلارية بالأمير المغلوب واضطره للركوع امام الإمبراطور ، الذى رفع قدميه ووضعهما فوق رأس خصمه ، ثم أتى بعد ذلك موكب الأسرى والغنائم من الخيول والجمال ومختلف انواع الاسلاب ، وثم استعراض ذلك كله فى موكب لانهاية له ، واثناء مرور الاسرى امام الإمبراطور كانوا يركعون ووجوههم إلى أسفل ، ثم قدم الجنود البيزنطيون وطرحوهم ارضا بينما المرتلون ينشدون انشودة تمجد انتصارهم على المسلمين بواسطة العدالة الالهية (٤) .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٢) امدنا الامبراطور قسطنطين السابع فى كتابه «المراسم الامبراطورية» ، بصورة رائعة للتقاليد المتبعة فى الاحتفالات التى تقام فى العاصمة البيزنطية فى مثل هذه المناسبات ، وهى التقاليد التى لابد وانها اتبعت بحذافيرها دون أى تغيير ، نظرا لاقتراب عهدى قسطنطين السابع (٩٤٤ — ٩٥٩ م) وولده رومانوس الثانى (٩٥٩ — ٩٦٣ م) . وبشأن هذه التقاليد والاحتفالات انظر كتاب الامبراطور قسطنطين السابع «المراسم الامبراطورية» وهو باليونانية ، ص ص ٣٣٠ — ٣٣٣ .

(٣) الهيبودروم هو ميدان السباق ، وهو مبنى ضخم فسيح ، يتسع لجلوس مايقارب الاربعين الف شخص . وكان فى الامكان الوصول من القصر الامبراطورى مباشرة إلى المقصورة الامبراطورية فى هذا الميدان . وقد لعب الهيبودروم دورا هاما فى الحياة الاجتماعية والسياسية فى الدولة البيزنطية ، وللمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع انظر ، رانسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٢٢٩ — ٣٣٠ .

(٤) انظر الترجمة العربية لهذه الانشودة مع التعليق ، فى الملحق رقم (٥) من هذا البحث .

وأعقب ذلك احتفال آخر مسرحه هذه المرة المحكمة الكبرى المسماه آجورا التى تقع فى قلب العاصمة البيزنطية ، بين القصر الإمبراطورى ، ومبنى السناتو والكنيسة الكبيرة سانت صوفيا ، وفى تلك الساحة الفخمة القائمة وسط مجموعة نادرة من الأعمدة الرخامية التى تحمل فى اعلاها تماثيل من الفضة للأباطرة والإمبراطورات ، ويتوسطها عمود ضخم فى اعلاه صليب كبير محلى بكتابات دينية منقوشة بالذهب ، جلس الأمبراطور رومانوس الثانى على المنصبة ، واتخذ بطريرك القسطنطينية مكانه خلفه ، بينما جلس على الجانبين الشخصيات الهامة فى الدولة ، ثم جاء الأسرى ، واخذ المرتل الإمبراطورى يرتل اهازيج النصر ، وبعد الأنتهاء من هذه التراتيل ، أمسك دمستق القوات الاسكلارية وكبار القدة فى الجيش والأسطول وحكام الولايات واصحاب المراكز الادارية الهامة فى الدولة ، امسك كل هؤلاء بالأمراء والوجهاء من الاسرى المسلمين ، وطرحوهم أرضا اسفل العمود الذى يحمل الصليب الكبير ، بينما ركع الحاكم المقهور عند قدمى الإمبراطور وألبسه الخف الأحمر ، اما باقى الاسرى فقد قاموا — بناء على أوامر حراسهم — بتمريغ انفسهم فى التراب ، بينما كانت جموع الشعب البيزنطى تهتف هتافات الانتصار .

بعد ذلك نهض الاسرى وامير هم عبد العزيز بن شعيب ، وتقهقروا ووجوههم نحو الإمبراطور ، حتى لايسيئوا إلى هيبته ، حيث انسحبوا إلى نهاية ساحة الأحتفال ، واتخذوا اماكنهم بها . ثم جاء رجال الحرس الإمبراطورى ، والمجدفين بالأسطول البيزنطى ، والمرتلين بالقصر ، الإمبراطورى ، ووقفوا امام الإمبراطور وعلى يمينه واختتموا الاحتفال بهذه

الابتهالات التى يقولون فيها « العمر المديد للأمبراطور ، العظيم جدا ، الشديد التقوى ، الدائم الانتصار ، الذى منحه الرب سنوات طويلة . العمر المديد للامبراطور المصطفى من الرب الذى يرشده المولى وسيرشده دائما . العمر المديد للإمبراطور ، الشجاع جدا ، الورع دائما . ابن الله ، احفظ ايام امبراطور نا استجب لنا ، امنحه حياه طويلة ، نمى ايمان المسيحيين ، نمى قوة الرومان وجيوشهم ، نمى عدد انتصاراتهم ، نمى شجاعة شعب المسيح نحن العبيد المخلصون للإمبراطور . العمر المديد للاوتوقراطور العظيم جدا ، الامبراطور الذى منحه المسيح حكما طويلا . مولانا ، اعطى مائة عام من الحكم الهادىء للإمبراطور التقى».

وبانتهاء هذا اللحن ، انتهت احتفالات النصر ، ونهض الامبراطور من مكانه على المنصه واعتلى صهوة جواده ، وقفل عائدا إلى القصر الإمبراطورى ، بينما غادر جميع الحاضرين ساحة الأحتفال .

وفى الوقت الذى تلقى فيه البيزنطيون نبأ فتح كريت بكل هذا الفرح والأحتفال ، كان وقع نفس الخبر مختلفا تماما على الجماهير الإسلامية ، التى ما أن علمت به حتى صعقت وثارت وأعلنت عن سخطها . وقد ساق المؤرخ المسيحى يحيى الانطاكى — على سبيل المثال — صورة لما حدث فى مصر ، قال : « وورد الخبر بذلك (أى بسقوط كريت) إلى مصر يوم الجمعة لثمان خلون من السنة (٣٥٠ هـ) وهو يوم عيد العازر قبل الشعانين ، فتجمع فى الحال خلق من رعاع اهل مصر وعوامها ، وقصدوا ايضا كنيسة ميخائيل التى للملكية بقصر الشمع فشعثوها واخربوها خرابا عظيما ، ونهبوا جميع مافيها ، ونهبوا كنيستى النسطورية وكنيسة مارثاذرس ، وكنيسة مريم السيدة المعروفة بكنيسة البطريرك وشعثوها ايضا»(١) .

(١) يحيى الانطاكى : التاريخ ، ص ٨٤ — ٨٥ (طبعة باريز ١٩٢٤ م) .

ولكن ، رغم الغضب والسخط اللذين سادا بين جماهير المسلمين ، الا انهم لم يقوموا بأية محاولة من اجل استرداد كريت من قبضة البيزنطيين والواقع أن الظروف التى احاطت بالإمارات والدول الإسلامية المختلفة كانت هى المسئولة إلى حد بعيد عن هذا التهاون . فبالنسبة للخلافة العباسية ، فان احوالها السياسية لم تتح لها المشاركة فى أى نشاط عسكرى ضد العدو البيزنطى (١) اما الخلافة الفاطمية فكانت تستعد لمحاولة جديدة لفتح مصر ، هذا الفتح الذى استحوذ على اهتمامها ، ولم تسمح لأى شيء بان يباعد بينها وبين تحقيقه . وقد جرت محاولات سابقة فى هذا السبيل ، كان أولها فى عام ٣٠١ هـ (٩١٣ — ٩١٤ م) ، حين ارسل الخليفة الفاطمى المهدى جيشا من افريقيه ، وعهد بقيادته إلى ابنه ابى القاسم ، الذى نزل بالإسكندرية واستولى عليها ، كما استولى على الفيوم وعدة بلاد اخرى . ولكن الخليفة العباسى المقتدر ارسل اليه جيشا بقيادة مؤنس الخادم ، فحارب الفاطميين واجلاهم عن مصر ، فعادوا مهزومين إلى المغرب (٢) .

وقد اعاد الفاطميون المحاولة فى العام التالى ٣٠٢ هـ (٩١٤ — ٩١٥ م) فارسل المهدى جيشا اخرا قوامه مائة ألف مقتل ، على رأسه القائد حباسه بن يوسف ، وقد تمكن هذا الجيش من النزول بالأسكندرية ، حيث التقى بالجيش العباسى بقيادة مؤنس الخادم الذى انتصر عليهم بعد معارك متعددة قتل فيها من الفريقين اعداد كبيرة ، ويقال ان عدد القتلى من الجنود المغاربة بلغ سبعة الاف قتيل (٣) . وقد قامت الخلافة الفاطمية بمحاولتها الثالثة فى عام

---

(١) انظر ص ص ٢٣٨=٢٤٠ من هذا الفصل .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص ١٧١ ، ابن لاثير : الكامل ، جـ ٦٦ ، ص١٤٧ ابن الابار ، : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١٩٢ .

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ٣ ، ص ٣٦٨ .

٣٠٦ هـ (٩١٨ — ٩١٩ م) ، وتمكن ابو القاسم بن المهدى قائد الجيش الفاطمى من دخول الاسكندرية فى ربيع الآخر من عام ٣٠٧ هـ (سبتمبر ٩١٩ م) فوجدها خالية بعد أن هجرها اهلها ، فاستباحها وكتب إلى ابيه الخليفة المهدى بالفتح ، وارسل ابوالقاسم احد قادته ويدعى سليمان بن كافى بالجيوش الفاطمية إلى الفيوم ، ففتحها بالسيف ، واقبلت العساكر من شمال افريقيا بعضها يتلو بعضا ، ثم انتقل ابو القاسم إلى الفيوم ونزل بالاشمونين فى رجب ٣٠٧ هـ (ديسمبر ٩١٩ م) . وجبى الاموال . لكن الخلافة العباسية ارسلت القائد ثمل بالأسطول الشامى ، فلتقى بالأسطول الفاطمى الراسى بمياه الاسكندرية وانتصر عليه ، وأسر العديد من المغاربة ، وبعد هذه الهزيمة عاد ابو القاسم بجيوشه إلى برقة ثم إلى بلاد لمغرب (١) .

ورغم فشل هذه المحاولات ، الا ان الخلافة الفاطمية لم تفقد الأمل فى فتح مصر ، بل ظلت على اهتمامها بهذا الأمر ، وظلت تعبىء كل قواها العسكرية من اجل تحقيقه حتى تحقق بالفعل على يد القائد جوهر الصقلى ، وكان ذلك فى عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م (٢) .

اما فيما يتعلق بالخلافة الأموية بالأندلس ، فقد وجد لديها هى الاخرى من الأسباب ما أعاقها عن محاولة استرداد كريت ، ففى الوقت الذى تم فيه الفتح البيزنطى لهذه الجزيرة فى مارس ٩٦١ م (محرم ٣٥٠ هـ) ، كان الخليفة الأموى الناصر لدين الله يعانى من مرض خطير ألم به منذ صفر ٣٤٩ هـ (ابريل

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٣ ، ص ١٩٦ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ٦ ، ص ١٦١ ، ابن عذرى : البيان المغرب ، جـ١ ، ص ١٨١ — ١٨٣ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا ، نشر الشيال ص ١٤٨ ، ابن تغرى بردى : ، النجوم الزاهرة ، جـ٤ ، ص ٢٢٨ ابن ابى دينار : الخلاصة النقية ، ص ٥٨ الكندى : ولاة مصر ، ص ٣١٥ .

٩٦٠ م) ولم يبارحه الا بعد أن قضى عليه فى ٣ رمضان ٣٥٠ هـ (نوفمبر ٩٦١ م) (١) ، وقد خلفه ابنه الحكم بن عبد الرحمن الذى تلقب بالخليفة المستنصر ، وقد استلزم الامر أن يوجه هذا الخليفة جهوده فى بداية حكمه إلى توطيد مركزه وتثبيت أقدامه على العرش خصوصا فى بلد كان أهله دائمى الثورة والتمرد كالأندلس ، وتحقيقا لذلك قام بعدة غزوات فى الاقاليم الاندلسية المختلفة (٢) . ثم ألم بالبلاد قحط عام وأعقبه مجاعة كبيرة وذلك فى عام ٣٥٣ هـ (٩٦٤ م) شغل المستنصر بالقضاء عليها ومساعدة المحتاجين من جماهير شعبه (٣) . يضاف لذلك ماسبقت الاشارة اليه من أسباب تتعلق بتباعد الحدود بين الأمويين والبيزنطيين وماترتب على ذلك من ابتعاد الامويين عن المشاركة فى الصراع الدائر بين البيزنطيين والمسلمين فى المشرق (٤) ، لذلك كله فقد رأت الخلافة الأموية انه من الأفضل الاستمرار فى العلاقات الودية مع بيزنطة ، ومن مظاهر هذا الود ان الخليفة المستنصر ارسل إلى الامبراطور البيزنطى (٥) ، يطلب منه ارسال الفسيفساء التى يحتاج اليها لتزيين المسجد الجامع بقرطبة ، وقد استجاب له الإمبراطور على الفور ، وارسل اليه فى سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) ثلاثمائة وعشرون قنطارا منها هدية مع أحد الصناع البيزنطيين المهرة . وبعد أن أدى هذا الصانع مهمته بنجاح عاد إلى بيزنطة

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٢٣ ، ٢٣٣ ، ابن الابار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١٩٧ .

(٢) بشأن تفاصيل هذه الغزوات انظر ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٣٤ – ٢٣٦ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٤) انظر الفصل الثانى من هذا البحث ، ص ص ١٢٢–١٣٢

(٥) لم يذكر ابن عذارى اسم الامبراطور الذى ارسله الخليفة الاموى المستنصر بالله ، وانما اكتفى بالاشارة إليه باسم «ملك الروم» ، وقد حدد ابن عذارى تاريخ وصول الفسيفساء التى ارسلها الامبراطور البيزنطى إلى الاندلس سنة ٣٥٤ هـ (٩٦٥ م) ، والمعروف ان الجالس على العرش البيزنطى آنذاك كان الامبراطور نقفور فوقاس (٩٦٣ – ٩٦٩ م) .

« بعد أن أجزل له المستنصر الصلة والكسوه » ، وذلك على حد تعبير المؤرخ المغربى ابن عذارى (١) .

اما بالنسبة لمسلمى الشام ، الذين طالما تعاونوا مع اهالى كريت اثناء صراعهم مع الدولة البيزنطية وعلى الاخص فى النصف الثانى من القرن التاسع والنصف الاول من القرن العاشر الميلاديين ، فانه لم تتح لهم الفرصة للقيام بأى دور فعال فى العمل على استرداد كريت ، اذ عاجلتهم الدولة البيزنطية بضربات متلاحقة ، افقدتهم القدرة على توسيع دائرة الصراع معها إلى خارج حدودهم الأقليمية . فبعد أن تم الاحتفال بانتصار البيزنطيين واستعادتهم لكريت ، تحرك نقفور فوقاس نحو المشرق لاستئناف الحرب مع المسلمين على الجبهة الشرقية للأمبراطورية . والواقع ان فتوحات نقفور فوقاس فى المشرق الإسلامى ، سواء وهو قائد ، او بعد اعتلائه للعرش الامبراطورى من الموضوعات الهامة التى تحتاج لمعالجة موضوعية كبيرة (٢) ، ونظرا لأنها ليست الموضوع الأساسى فى هذا البحث ، ولايتسع المجال لايفائها حقها من المعالجة ، لذلك فسنعرض لها بايجاز وتركيز شديدين يفيان بالغرض المقصود منها ، وهو ايضاح الظروف التى عرضت للمسلمين بالمشرق وقتذاك وحالت بينهم وبين العمل على استرداد كريت من يد البيزنطيين .

وجدير بالذكر ، أن معظم الجهود العسكرية لنقفور فوقاس قد تركزت فى هذه المرحلة فى قيليقية وشمال الشام . وهى المناطق التابعة آنذاك لسيف الدولة بن حمدان ، حاكم امارة حلب ، وذلك رغبة منه فى كسر شوكة

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ، ص ٢٣٧ – ٢٣٨ .

(٢) من أحسن البحوث التى كتبت فى هذا الموضوع ، كتاب الاستاذ الدكتور عمر كمال توفيق «الامبراطور نقفور فوقاس واسترجاع الاراضى المقدسة» الاسكندرية ١٩٥٩ .

هذا الأمير المسلم الذى حمل لواء الجهاد ضد البيزنطيين فى وقت شغل فيه كل حاكم من حكام المشرق الإسلامى بمشاكله وخصوماته مع جيرانه المسلمين ، عن مواجهة المشكلة الكبرى الخاصة بزحف النفوذ البيزنطى على هذه المناطق الحيوية .

ففى أواخر عام ٩٦١ م (٣٥٦ هـ) سار نقفور على رأس جيوشه ونزلوا بقليقية حيث هاجموا مدينة عين زربه ، وفرضوا الحصار عليها ، فأرسل سيف الدولة جيشا بقيادة والى طرسوس رشيق النسيمى لانقاذها من حصار البيزنطيين ، ولكن نقفور قضى على هذه الحملة وانزل الهزيمة بهذا الجيش ، ويقال ان عدد القتلى من المسلمين بلغ خمسة آلاف ، كما اسر البيزنطيون اربعة آلاف اخرى (١) . وواصل نقفور حصاره للمدينة حتى استسلم لـه الأهالى فى فبراير ٩٦٢ م (المحرم ٣٥١ هـ) ، بعد ان وعدهم بالأمان ، ثم نقض وعده ، وامرهم بمغادرة المدينة على الفور ، فلبوا اوامره (٢) . ويذكر ابن الاثير ان نقفور ظل واحد وعشرين يوما فى اقليم قيليقية استولى اثناءهـا على ٥٤ حصنا من حصون المسلمين (٣) . ثم سار نحو شمال الشام فاستولى على بعض الحصون مثل رعبان ودولوك ومرعش ومنبج (٤)، وبعدها غادر نقفور اراضى المسلمين وعاد إلى العاصمة البيزنطية ليقضى بها فترة الصيـام وبعد رحيله شغل المسلمون باسترجاع كل مااستولى عليه من الحصون ، كما

---

(١) يحيى الانطاكى : التاريخ ، ص ١١٨ (طبعة بيروت ١٩٠٥) ابن العديم : زبدة الحلب ،فى تاريخ حلب جـ١ ضـ، ص ١٣٢ .

(٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ٧ ، ص ٢ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ٧ ، ص ٢ .

(٤) يحيى الانطاكى : التاريخ ، ص ١١٨ (طبعة بيروت ١٩٠٥) ، ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ١ ، ص ١٣٢ . راجع ايضا :

C.M.H , vol V, p 83, pp. 144—145.

اعاد سيف الدولة بناء عين زربة بعد التخريب الذى لقيته على يد القوات البيزنطية (١) .

وفى ديسمبر من عام ٩٦٢ م (ذى القعدة ٣٥١ هـ) قام نقفور فوقاس بحملة جديدة على شمال الشام ، وكان هدفه هذه المرة مدينة حلب مقر سيف الدولة وعاصمة امارته ، ولم يكن سيف الدولة فى حالة استعداد تمكنه من منازلة البيزنطيين ، اذ كان قد ارسل غلامه نجا على رأس جيشه للأنقضاض على الجيش البيزنطى ، ولكن نجا سلك طريقا غير الطريق الذى سلكته القوات البيزنطية فلم يقدر له لقاءهم . لذلك اضطر سيف الدولة لمواجهة البيزنطيين فى معركة لم يستعد لها ، فحلت به الهزيمة وانسحب إلى قنسرين ، وقد استولى نقفور على قصر سيف الدولة وكان خارج مدينة حلب واستحوذ على جميع ماحواه القصر من ذخائر وأموال (٢) . ثم نزل نقفور بقواته على مدينة حلب وفرض الحصار عليها ، وقد أبدى الأهالى بها شجاعة نادرة فى الدفاع عن مدينتهم مما اضطر البيزنطيين إلى التقهقر والأنسحاب حتى جبل جوشن الذى يقع إلى غربى المدينة ، على ان الفتنة سرعان ماأندلعت فى حلب ، فترك الأهالى اماكنهم على السور ولحقوا بمنازلهم ليحفظوها من النهب . وقد اتاح ذلك للبيزنطيين الفرصة كى يتسلقوا الأسوار ويفتحوا بوابات المدينة ويقتحموها حيث اعملوا الذبح والتقتيل فى الأهالى ، واستحوذوا على غنائم هائلة ، ثم انسحبوا منها بعد أن ظلوا بها لمدة ستة أيام ، لم ينجحوا خلالها فى الإستيلاء على القلعة التى ظلت بيد المسلمين ، وبعد مغادرة نقفور لحلب فى ٣١ ديسمبر

---

(١) ابن الاثير : الكامل ، جـ٧ ، ص ٥ .

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ١ ، ص ١٣٤ ، — ١٣٥ ، ابن مسكويه : تجارب الامم ، ص ١٩٥ ، حاشية رقم (١) ، ابن الاثير ، الكامل ، جـ١ ، ص ٣ .

٩٦٣ م (ذى القعدة ٣٥١ هـ) اتخذ طريقة إلى القسطنطينية ، وكان ذلك نهاية المرحلة الأولى فى سلسلة صراعه مع المسلمين فى الشام (١) .

وقد تطورت الأمور فى بيزنطه بشكل ادى إلى اعتلاء نقفور فوقاس للعرش البيزنطى ، ففى ١٥ مارس ٩٦٣ م ، توفى الإمبراطور رومانوس الثانى ، وخلف ولدين صغيرين هما باسيل الذى كان يبلغ من العمر آنذاك خمس سنوات ، وقسطنطين وكان فى الثانية من عمره . ولما كان لا بد من قيام وصى على الطفلين القاصرين ، يتولى تصريف شئون الإمبراطورية ، فقد طمع نقفور فى ان يكون هو ذلك الوصى ، ولم يلبث ان نادى به جنوده امبراطورا فى ٢ يوليه ٩٦٣ م ، فى مدينة قيصرية فى قباد وقيا ، ثم تم تتويجه بعد ذلك رسميا فى القسطنطينية . ولكى يؤمن نقفور منصبه ويضفى عليه الصبغة الشرعية ، تزوج من ارملة الإمبراطور الراحل ووالدة الإمبراطورين الطفلين الشابه الجميلة ثيوفانو Theophano (٢)

وقد أكمل الامبراطور نقفور فوقاس فتوحاته فى قيليقية وشمال الشام ، تلك الفتوحات التى بدأها وهو قائد ، ففى شهر يوليه من عام ٩٦٤ م (رجب ٣٥٣ هـ) قام بحملة على المسلمين استعاد خلالها مدينة عين زربة وفتح أدنه ثم انتقل إلى طرسوس والمصيصه فحاصرهما ونظرا لحصانة المدينتين فقد طال أمد الحصار ، ولما حل فصل الشتاء ترك نقفور شقيقه ليون فوقاس امام طرسوس وامره بالأستمرار فى حصارها ، كما ارسل بفصائل من الجيش

---

(١) ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ١ ، ص ١٣٧ ، يحيى الانطاكى : التاريخ ، ص ١١٩ طبعة بيروت ، ابن مسكوية : تجارب الامم ، ص ١٩٢ — ١٩٣ ، ابن الاثير : الكامل جـ٧ ، ص ٣ .

(٢) عمر كمال توفيق : الامبراطور نقفور فوقاس ، ص ١٤ .

لتعزيز حصار المصيصة ومع وصول اى مؤن او امدادات اليها ، اما نقفور فقد عاد إلى قلعةدروزو Drozio بآسيا الصغرى ليقضى بها فصل الشتاء (١) . وفى ١٣ يونيه ٩٦٥ م (٧ جمادى الثانى ٣٥٤ هـ) ظهر نقفور من جديد فى قيليقية واتجه إلى المصيصة ونجح فى اقتحامها بعد أن نهكت المدينة من المجاعة وانتشار الأمراض (٢) . وقد تعرض اهاليها للقتل والأسر ، ويقال ان عدد الأسرى الذين ارسلهم نقفور إلى القسطنطينية من اهالى هذه المدينة بلغ نحو الف شخص (٣) . ثم انتقل نقفور إلى طرسوس واجتمع بشقيقه ليون وقواته وواصلوا حصارها ، فطلب اهلها التسليم فأجابهم نقفور إلى ذلك وعاملهم بلطف ثم امرهم بمغادرتها فلبوا أوامره (٤) .

وفى خريف عام ٩٦٦ م (٣٥٥ هـ) قام نقفور بحملة جديدة على المسلمين بالمشرق فهاجم بعض البلاد الجزرية وهى آمد وداـا ونصيبين وقتل وأسر الكثيرين من اهالى هذه البلاد ، ثم نزل على شمالى شرق الشام ، وحاصر منبج وطلب من اهلها تسليمه قرميدة السيد المسيح ، وحين اجابوه إلى طلبه رفع الحصار عنها ولم يعرض لهم بمكروه . واستولت قواته على قافلة واردة من ميافارقين ، ثم نزل على وادى بطنان واسر عددا من الأهالى ، وفتح تيزين وحصن ارتاح الواقع بين حلب وانطاكية ، وبذلك اصبح فى موقف يسمح

(١) كيدرينوس : ص ص ٥٦١ – ٥٦٢ . باليونانية .

Zonaras : Liber XVIII, pp. 501—502

(٢) ابن الاثير : الكامل ، جـ٧ ، ص ١٣ .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، جـ٧ ، ص ٢٣ ، ابن مسكويه : تجارب الامم ، جـ٢ ، ص ٢١١ .

(٤) كيدرينوس ، موجز التاريخ ، ص ٥٦٢ – ٥٦٣ . باليونانية .

Zonaras, p 502

انظر كذلك : ابن الاثير ، الكامل ، جـ٧ ، ص ١٣ ، بن مسكوية : تجارب الامم ، جـ٢ ، ص ٢١١ .

له بتهديد البلدين . وقد اتجه نقفور اليها وحاصرها سبعة ايام خرب خلالها الأراضى المجاورة لها ، ثم رفع الحصار وعاد إلى القسطنطينية نظرا لاقتراب فصل الشتاء (١)

وقد استأنف نقفور عملياته العسكرية ضد المسلمين فى خريف عام ٩٦٨ م (٣٥٧ هـ) فخرج على رأس جيش كبير بلغ نحو ثمانين الف مقاتل وكان هدفه الرئيسى من هذه الحملة هو فتح مدينة انطاكية . وقد اتخذ نقفور طريقه فى ديار مضر ،ونازل أرزن وكفرتوثا ونكل بأهالى هذه البلاد ، ثم اتجه إلى أنطاكية فابدى الأهالى بها مقاومة شجاعه ، اضطرت نقفور إلى الرحيل من أمامها بعد ان هددهم بالعودة والاستيلاء على مدينتهم ، ثم نزل على معرة مصرين واسرا هلها وفتح معرة النعمان وكفر طاب وشيزر وحماه وحمص واتجه إلى طرابلس على ساحل الشام ، وخرب اراضيها وحاصر مدينة عرقة وافتتحها ثم انتقل إلى البلاد الساحلية ففتح حصون انطرسوس ومرقيه وحاصر اللاذقية ، ولكن اهلها دفعوا اليه مبالغ كبيرة من المال وعقدوا معه صلحا مقابل رفع الحصار ، فأجابهم إلى طلبهم وعاد إلى انطاكية حيث فرض الحصار عليها (٢). ولما كان الشتاء وشيكا فقد رجع عن المدينة وأجل مها جمتها للعام التالى ، وقام بتشييد حصن على مكان مرتفع فى مواجهة انطاكية وعهد إلى ميخائيل بورتزيس — وهو المعروف لدى المؤرخين المسلمين باسم البرجى — أمر الاشراف عليه ومراقبه انطاكية ، ومنع وصول اية مؤن او ذخائر حربية إلى اهاليها ، اما بقية الجيش البيزنطى ، فقد اسند قيادته إلى بطرس فوقاس

(١) يحيى الانطاكى : التاريخ ، ص ١٢٧ (طبعة بيروت) ، ابن الاثير : الكامل ، جـ٧ ، ص ١٩ . راجع كذلك : عمر كمال توفيق : الامبراطور نقفور فوقاس ، ص ٢٧ — ٣٤ .

(١) يحيى الانطاكى : التاريخ ، ص ١٣٠ — ١٣١ ، انظر ايضا : عمر كمال توفيق . الامبراطور نقفور فوقاس ، ص ٣٥ — ٣٦ ، سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٦٢ .

الذى يذكره المؤرخون المسلمون باسم الطربازى – وامره نقفور بأن يعسكر فى قيليقية لقضاء فترة الشتاء بها أما هو فعاد إلى القسطنطينية (١) واثناء مراقبة بورتزيس لأنطاكية سنحت له الفرصة للأستيلاء عليها ، وبمساعدة بطرس فوقاس تمكنت القوات البيزنطية من اقتحام المدينة فى ٢٨ اكتوبر ٩٦٩م (١٤ ذى الحجة ٣٥٨ هـ)(٢) . وكان ذلك آخر انتصار حققه نقفور فوقاس ، اذ لم يلبث أن لقى مصرعه فى ١٠ ديسمبر ٩٦٩ م على يد جماعة من المتآمرين على رأسهم يوحنا تزيمسكس ، الذى خلفه على عرش الإمبراطورية البيزنطية(٣)

وهكذا لم تترك الدولة البيزنطية للمسلمين فى لمشرق ، الفرصة للعمل على استرداد كريت ، بل لاحقتهم بالحروب المستمرة ، التى اثقلت كاهلهم واخذوا يرزحون تحت وطأتها ، ويطلبون لأنفسهم الخلاص منها .

ومن هذا العرض للظروف التى ألمت بالقوى الإسلامية المختلفة فى انحاء العالم الإسلامى ، يتضح ان كل طرف من اطرافها قد شغل بمشاكله وظروفه المحلية ، مما اتاح الفرصة لبيزنطة لاحكام قبضتها على كريت ، وتأكيد سيطرتها عليها . وبذلك وضعت هذه الخاتمة المؤلمة للملحمة البطولة التى خط سطورها فئة من المسلمين اتخذوا من الجهاد فى سبيل الله طريقا لحياتهم .

---

(1) Zonaras, Liber XVIII, pp. 508—509

راجع كذلك .

Ostrogorsky, op cit., p. 257; Vasiliev, Histoire de l'empire Byzantine p. 408.

(٢) كيدرينوس ، موجز التاريخ ، ص ص ٣٦٦ – ٣٦٧ . باليونانية .

(٣) هذا وقد اكمل الامبراطور يوحنا تزيمسكس (٩٦٩ – ٩٧٥ م) الفتوحات البيزنطية فى المشرق الاسلامى ، فقام بعدة حملات فى هذا السبيل ، وبشأن التفاصيل الخاصة بها انظر ، عمر كمال توفيق مقدمات العدوان الصليبى ، «الامبراطور يوحنا تزيمسكس وسياسته الشرقية الاسكندرية ، ١٩٦٦ .

الخـــاتمـــة

أستعرضنا فى هذا البحث الدور الذى قام به مسلمو كريت فى الصراع البيزنطى الإسلامى فى العصور الوسطى ، وفى تقييم هذا الدور يمكن القول انهم ساهموا الى حد كبير فى القضاء على السيادة البحرية البيزنطية على الجزء الشرقى من حوض البحر الأبيض المتوسط ، تلك السيادة التى استمرت قبل ذلك قرونا عديدة بلا منازع . كما ساعدوا كذلك على ارساء قواعد السيطرة البحرية الإسلامية على هذا الجزء الهام من عالم العصور الوسطى — ويؤكد المؤرخ أرشيبالد لويس هذه الحقيقة بقوله : «بدأ عهد جديد فى التاريخ البحرى البيزنطى فى البحر المتوسط باغارة المسلمين على صقلية ثم باستيلائهم على كريت عام ٨٢٧ م ، وانتهى بهذين الحادثين أيضا عهد العجز عن تحدى الإمبراطورية وأخذت السيطرة على البحر المتوسط تنتقل إلى المسلمين الذين انتشروا على الشواطىء الجنوبية لذلك البحر ، من جبال طوروس حتى جبال البرانس ولم يتم هذا التغيير كله دفعة واحدة ، بل ظلت لحكام القسطنطينية سيطرة على بعض القوات البحرية الهامة ، كما أنهم ظلوا يكافحون ببسالة ضد أعدائهم المسلمين فى شرق البحر وغربه . . . . . وحاولوا استعادة كريت بأرسال الحملة تلو الحملة لطرد القرصان المسلمين من ارض الجزيرة ، ولكنهم كانوا — فيما عدا فترات محددة — فى موقف المدافع لا المهاجم ، كما أن ما أخفقوا فيه يرجح كثيرا ماحققوه ، وعلى هذا لم يأت القرن العاشر الميلادى الا وقد انتقلت السيادة الكاملة فى البحر المتوسط لاعدائهم المسلمين»(١)

والواقع أن الأثار المترتبة على استيلاء المسلمين على كريت لم تقتصر على البحار الشرقية وانما تعدتها إلى المساس بمركز بيزنطة فى الغرب ، فان انشغالها الدائم بموضوع كريت ، وما سببه لها المسلمون بها من مشاكل ومضايقات

(١) لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ص ٢١١ .

مستمرة ، وعلى الأخص فى بحر ايجه ، كان من العوامل الهامة التى أدت إلى تعريض مركزها فى صقلية وجنوب ايطاليا للخطر ، اذ كان من العسير على بيزنطة أن تحارب أعداءها المسلمين فى الشرق والغرب فى وقت واحد. ليس ذلك فحسب ، بل لقد مست هذه الأثار كذلك علاقات الدولة البيزنطية بجيرانها البلغار والروس ، وقد مر بنا كيف استغل اولئك وهؤلاء الهزائم التى أوقعها مسلمو كريت بالدولة البيزنطية لكسب الإمتيازات على حسابها إلى حد استقطاع اجزاء من اراضيها (١) .

هذا ولم يؤثر وقوع كريت فى يد المسلمين على مركز بيزنطة السياسى فقط ، بل كانت له آثاره كذلك على مركزها الأقتصادى ، بعد أن فقدت هذه الجزيرة التى لعبت دورا هاما كطريق تجارى لنقل البضائع بين الشرق والغرب . ذلك أن طريق التجارة المألوف بين الشرق والغرب كان الطريق المار بكريت وقبرص وعلى طول الساحل الجنوبى لاسيا الصغرى . وهناك طريق آخر هو الطريق المباشر بين كريت والإسكندرية (٢) .وكانت بيزنطة تجبى مكوسا هائلة من السفن التجارية المارة بهذين الطريقين نتيجة لحصارها المحكم واشرافها الدقيق عليها ، وكان فى استطاعة القوة البحرية البيزنطية أن أن تقف فى وجه التجارة الذاهبة إلى المغرب أو إلى مصر وسورية وشمال أفريقية ، واذا أمكن لسفينة تجارية أن تفلت من هذا الحصار عند مكان ما ، فهناك اماكن اخرى يمكن منعها من الأفلات للمرة الثانية (٣) . وباستيلاء

---

(١) انظر الفصل الثالث من هذا البحث ص ص ٢٠١-٢٠٢ .

(٢) لويس : القوى البحرية والتجارية ص ١٤٢ .

(٣) لويس : نفس المرجع ص ١٤٢

المسلمين على كريت وسيطرتهم على المضايق البحرية الهامة ، انهارت السيادة البيزنطية على طرق التجارة فى شرقى البحر الأبيض المتوسط ، مما ادى إلى الاضرار بمركز بيزنطة الأقتصادية .

والجدير بالذكر ، أنه رغم الدور العظيم الذى قام به مسلمو كريت فى النضال ضد العدو البيزنطى لفترة تزيد على القرن من الزمن ، وما أنزلوه به من خسائر عسكرية واقتصادية ، الا أن عددا من المؤرخين وخاصة الغربيين منهم (١) ، قد حرصوا على اضفاء صفة القرصنة (٢) على الأعمال البطولية

(١) انظر المراجع التالية :

Brehier, Vie et mort de Byzance, p. 149; Finlay, History of Greece vol 11, p. 251; Schlumberger, Un Empereur Byzantin, p. 33; Vasiliev, Histoire de l'empire Byzantin, tome I, p. 367; Bloy, Constantionople et Byzance, pp. 17—20.

راجع كذلك ، فازيلييف ، العرب والروم ، ص ١٨٧ : لويس ، القوى البحرية البيزنطية ص ٢١١ ومابعدها .

هذا وقد تأثر بهم بعض المؤرخين المسلمين انظر على سبيل المثال : العريني : الامبراطورية البيزنطية ص ٣٦٨ ، ص ٣٦٩ ، عصمت راشد : كريت تحت الحكم المصرى ص ص ١٦ ، ٢٤ و ٢٥ .

(٢) لقد انتشرت القرصنة فى حوضى البحر المتوسط الشرقى والغربى منذ منتصف القرن التاسع الميلادى ، وكانت جماعات القراصنة تتكون من جنسيات مختلفة ، فكان بينهم أعداد كبيرة من أهالى ايطاليا والبلقان وجنوبى فرنسا والمغرب ، وكنت الشواطئ الاوروبية للحوضين الشرقى والاوسط للبحر المتوسط حافلة بمراكز القراصنة المسيحيين الذين كانوا لايفرقون بين البلاد الاسلامية والمسيحية ، فكانوا يغزون سواحل الدولة البيزنطية وسواحل ايطاليا والاندلس ويروعونها ويقول المؤرخ الفرنسى ليفى بروفنسال : «وكانت مهاجمة السفن فى البحر وأسر من فيها ثم المساومة على فدائهم ، امر لا دخل فيه للملوك نصارى كانوا أو مسلمين ، ولم يكن هؤلاء وأولئك ليهتموا بنزول القرصان على شواطئ ممتلكاتهم إلا فى الحالات التى يصبح فيها هذا النزول خطرا على أراضيهم ، وكان لابد فى هذه الحالة أن يكون لديهم من القوة مايستطيعون به مدافعة أولئك الطغاة ولكن الغالب أن عبء هذه المدافعة كان ملقى على كواهل سكان الشواطئ أنفسهم» انظر مقالة الاستاذ الدكتور حسين مؤنس فى المجلة التاريخية المصرية تحت عنوان «أثر ظهور الاسلام فى البحر الابيض المتوسط » المجلد الرابع العدد الأول ، مايو ١٩٥١ ص ١٢٨ . راجع كذلك عن القرصنة كتاب لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط مواضع متفرقة من الكتاب .

التى قامت بها هذه الفئة من المسلمين . ولا شك ان اصرارهم على ذلك لايخلو من روح التعصب ، اذ المعروف أن قراصنة المسلمين كانوا شيئا آخر غير المجاهدين الذين كانوا يغازون النصارى بدافع دينى (١) وكان مسلمو كريت من هذه الفئة الأخيرة : أى فئة المجاهدين . فقد ثبت فى أكثر من موضع من هذا البحث مما رسمهم لجهاد ضد البيزنطيين ، يضاف لذلك أنهم قد مارسوا مع الدولة البيزنطية حربا بحرية وبرية منظمة لا يعرفها القراصنة (٢) . كما أنه لم يأت فى أى مصدر عربى أو بيزنطى اشارة إلى أية غارة قام بها المسلمون بكريت ضد ساحل من السواحل الإسلامية . مثلما كان يفعل القراصنة المسلمون والمسيحيون الذين كانوا يغيرون على البلاد الإسلامية والمسيحية على السواء ، ودون تفرقة أو تمييز (٣) وكان هدفهم الأول والأخير هو الحصول على الغنائم والاسلاب ، لايهمهم مصدرها ، ولا لمن تنتمى ، وسواء أكان أصحابها ممن يتفقون أو يختلفون معهم فى العقيدة الدينية بل على العكس من ذلك ، قام المسلمون بكريت بدور المدافع عن السواحل الإسلامية فى شرق البحر المتوسط ضد غارات البيزنطيين ، كما أنهم حرصوا على مساندة القوى الإسلامية المختلفة ، أثناء صراعها مع العدو البيزنطى (٤) .

وان كان هؤلاء المؤرخون المذكورون قد اتخذوا من أعمال التخريب والسلب والأسر التى قام بها مسلمو كريت فى الأراضى البيزنطية . دليلا يبيح لهم نعتهم بالقراصنة ، فانه يمكن القول أن هذه الأعمال لاتتنافى مع احكام

---

(١) انظر مقالة الدكتور حسين مؤنس سالفة الذكر ، ص ١٢٧

(٢) انظر مثالا للحرب البحرية المنظمة فى الفصل الثالث من هذا البحث وهو الخاص بفتح مدينة سالونيك ومثالا آخر للحرب البرية المنظمة فى الفصل الرابع ، ص ٢٥٩

(٣) انظر مقالة الدكتور حسين مؤنس فى المجلة التاريخية المصرية ، ص ١٢٦ ، ص ١٢٨ .

(٤) تمت الاشارة فى الفصل الثانى من هذا البحث إلى اشتراك الاسطول الكريتى فى فتح صقلية ، انظر ص ١٠٦ .

الجهاد الإسلامى حيث أن الدين الحنيف قد أباح للمجاهد الاستيلاء على غنائم وأسلاب عدوه ، وهناك روايات عديدة تروى عن الرسول عليه السلام ، وكلها تبيح للمسلمين المجاهدين للحصول على الغنائم من أعدائهم (١) . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل المجاهد فى سبيل الله ، والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله ، كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه سالما مع أجر وغنيمة »(٢) .

وهكذا يتضح أن الجهاد الدينى ، لا يتنافى مع اكتساب المغانم ، وتخريب المواقع ، وأسر الأعداء ، وان الحكم على هذه الأعمال يتوقف على وجهة النظر المتعصبة أو المنصفة .

أما عن النتائج التى ترتبت على استرجاع بيزنطه لكريت فى عام ٩٦١ م / ٣٥٠ هـ فبقدر ماكانت شديدة الأهمية بالنسبة للجانب البيزنطى ، فانها فى نفس الوقت كانت خطيرة على المسلمين ، بعدأنفقدواهذهالجزيرةالتى كانت من اهم نقط الأرتكاز البحرية للمسلمين فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، والتى كان لها دور فعال فى حماية سواحل المشرق الإسلامى،وعلى الأخص اقليم مصر من عدوان البحرية البيزنطية ، والتى لعبت دورا هاما فى عرقلة النشاط العسكرى البيزنطى ضد اقليم الشام ، حتى ان بيزنطه لم تنجح فى تحقيق انتصاراتها وفتوحاتها العديدة فى هذا الإقليم فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى ، الا بعد فرض سيطرتها على كريت فى عام ٩٦١ م . وقد ترتب علىسقوط كريت فى يد البيزنطيين أن أصبح الطريق مفتوحاأمامهملغزوجزير

(١) انظر صحيح مسلم ، الجزء السادس ، ص ص ١٤٧ – ١٥٦ .
(٢) الشافعى : فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ٦ ، ص ٥ – ٦

قبرص فى عام ٩٦٥ م / ٣٥٤ هـ واخراجها من دائرة النفوذ الإسلامى ، بعد أن ظلت فى يد المسلمين لمدة سبع وسبعين عاما (١) . كما مكن الدولة البيزنطية كذلك من اعادة الأمن والسلام إلى منطقة البحر الإيجى ؛ والعمل على تأمين طرق مواصلاتها البحرية فى المياه الشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط وكان ذلك تدعيما حيويا للسيادة البحرية البيزنطية ، بعدما تعرضت للخطر زمنا طويلا من جانب جزيرة كريت الإسلامية .

---

(١) تم استرداد بيزنطه لجزيرة قبرص فى عهد الامبراطور نقفور فوقاس (٩٦٣ – ٩٦٩ م) الذى أرسل عليها حملة بحرية بقيادة لبطريق نقيتاس ، انظر المصدر التالى :

راجع أيضا :

Ostrogorsky, History of the Byzantine State, p. 257; Finlay History of the Byzantine Empire p. 307.

الملاحق

الملحـــق رقـــم (١)

الرسالتان المتبادلتان بين الامبراطور ثيوفيل والخليفة المأمون

من ابرز الأحداث فى التاريخ البيزنطى خلال عهد الإمبراطور ثيوفيل ، الحروب ضد الدولة العباسية ، التى كان مسرحها اقليم آسيا الصغرى ، والتى حقق فيها العباسيون انتصاراتهم العديدة على الدولة البيزنطية . وخلال الصراع الذى اشتغل بين ثيوفيل والخليفة العباسى المأمون ، وبعد أن ادرك الإمبراطور البيزنطى التفوق العسكرى للجانب العباسى ، ارسل للخليفة المأمون هذه الرسالة يلتمس منه فيها قبول العرض الذى سبق ان تقدم به لأقرار السلام ، واحلال الهدنة بينهما ، كما عرض عليه تبادل الاسرى ، وتأمين طرق المواصلات بين الدولتين ، وحرية التجارة بين المسلمين والبيزنطيين . على أن رد الخليفة المأمون جاء مخيبا لآمال الامبراطور ثيوفيل فى الصلح والهدنة ، اذ اشترط لقبول عرض الامبراطور شروطا قاسية كان من العسير على الجانب البيزنطى قبولها ، وهى دعوة الامبراطور ثيوفيل ورعاياه لأعتناق الدين الإسلامى الحنيف ، فان أبى ، فعليه ان يدفع الفدية للخليفة العباسى وقد رفض الامبراطور قبول شروط المأمون ، لذلك فقد اشتعلت الحرب بين الطرفين من جديد ، وواصل العباسيون انتصاراتهم على الدولة البيزنطية حتى تم لهم فتح مدينة عمورية مسقط رأس الأسرة العمورية الحاكمة فى بيزنطة .

نـــص رسالـــة ثيوفيـــل (١)

. . . . اما بعد ، فان اجتماع المختلفين على حظها اولى بهما فى الرأى مما عاد بالضرر عليهما ، ولست حريا ان تدع الحظ يصل إلى غيرك حظا تحوزه إلى

(١) انظر نص رسالة ثيوفيل إلى المأمون فى ، الطبرى : تاريخ الامم والملوك ، جـ١٠ ، ص ٢٨٣

نفسك ، وفى علمك كاف عن اخبارك . وقد كنت كتبت اليك داعيا إلى المسالمة ، راغبا فى فضيلة المهادنة ، لتضع اوزار الحرب عنا ، ونكون كل واحد وليا وحزبا ، مع اتصال المرافق ، والفسح فى المتاجر ، وفك المستأسر ، وأمن الطرق . فان ابيت ، فلا ادب لك فى الخمر ، ولا ازخرف لك فى القول ، فانى لحائض اليك غمارها ، آخذ عليك اسدادها ، شأن خيلها ورجالها ، وان افعل فبعد ان قدمت المعذرة ، واقمت بينى وبينك علم الحجة و السلام .

ص رد المـأمو ن (١)

. . . . أما بعد ، فقد بلغنى كتابك فيما سألت من الهدنة ، ودعوت اليه من الموادعة ، وخلطت فيه من اللين والشدة ، واستعطفت به من شرح المتاجر واتصال المرافق ، وفك الاسارى ، ورفع القتل والقتال . فلولا مارجعت اليه من اعمال التؤدة والأخذ بالحظ فى تقليب الفكرة ، والا اعتقد الرأى فى مستقبله الا فى استصلاح ما أوثره فى معتقبه ، لجعلت جواب كتابك لحيلا تحمل رجالا من اهل البأس والنجدة والبصيرة ، ينازعونكم عن ثكلكم ، ويتقربون إلى الله بدمائكم ، ويستقلون فى ذات الله ما نالهم من ألم شوكتكم ثم اوصل اليهم الأمداد ، وابلغ لهم كافيا من العدة والعتاد . هم اظمأ إلى موارد المنايا منكم إلى السلامة ، من مخوف معرتهم اليكم ، موعدهم احدى الحسنيين ، عاجل غلبة ، أو كريم منقلب . غير أنى رأيت ان اتقدم اليـك بالمواظبة التى يثبت الله بها عليك الحجة من الدعاء لك ولمن معك الى الوحدانية والشريعة الحنيفية ، فان ابيت ، ففدية توجب ذمة وتثبت نظرة ، وان تركت ذلك ، ففى يقين المعاينة لنعوتنا ما تغنى عن الابلاغ فى القول ، والاغداق فى الصفة ، والسلام على من اتبع الهدى .

(١) انظر نص الرسالة التى رد بها الخليفة المأمون على الامبراطور ثيوفيل فى المصدر التالى ، الطبرى : تاريخ الامم والملوك ، جـ١٠ ، ص ص ٢٨٣ – ٢٨٤ .

ملحق رقـــم (٢)

كتاب الأمير عبد الرحمن الثانى إلى الإمبراطور ثيوفيل

ان الباحث فى تاريخ العلاقات البيزنطية الإسلامية ، لايخفى عليه ، العلاقات الودية التى ربطت بين الدولتين البيزنطية والأموية بالأندلس ، وكانت هذه العلاقات احد الدوافع الرئيسية التى حدت بالإمبراطور البيزنطى ثيوفيل ، إلى التوجه للأمير الأموى عبد الرحمن الثانى ، يشكو اليه من الضربات العنيفة التى الحقها به مسلمو كريت نتيجة لغاراتهم المستمرة على الممتلكات البيزنطية ، وكذلك الهزائم العديدة التى انزلها به العباسيون فى آسيا الصغرى ويطلب اليه ان ينعقد بينهما حلف ضد العباسيين وضد امارة كريت الإسلامية وقد رد عليه الأمير الأموى بهذا الكتاب الذى نحن بصدد معالجته .

والملاحظ ان الإمبراطور ثيوفيل قد استغل العداء القائم بين الأمويين والعباسيين من ناحية ، وبينهم وبين مسلمى كريت من الناحية الأخرى ، لأقناع الامير الأموى بقبول اقتراحه لعقد حلف بينهما ضد العدو المشترك لكليهما . وبالنسبة للعباسيين ، فهم الذين اسقطوا الخلافة الأموية فى المشرق فى عام ١٤٢ هـ (٧٤٨ — ٧٤٩ م) بعد حروب عنيفة بينهم وبين مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (١) ، اخر الخلفاء الأمويين . وانتهى الأمر بقتلهم له ، واحتزت

(١) كان الخليفة مروان يكنى ابا عبد الملك ، وبويع للخلافة بمدينة دمشق فى ١٤ صفر ١٢٧ هـ (منتصف نوفمبر ٧٤٤ م) وقيل انما بويع بمدينة حران بديار مضر ، وقتل بقرية بوصير من قرى الفيوم بأقليم مصر ، وذلك فى أول سنة ١٣٢ هـ ٧٤٩ م انظر ، المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ٢ ، طبعة بولاق ، ١٢٨٣ هـ ص ١٥٥ .

رأسه ، وأرسلت إلى ابو العباس السفاح (١) ، اول الخلفاء العباسيين ، ولم يكتف العباسيون بذلك ، بل نكلوا بأهل هذا الخليفة ، وطاردوهم فى كل مكان (٢) . ومنذ سقوط الخلافة الأموية والأمويون يرغبون فى استعادة ممتلكاتهم السابقة ، واعادة بناء صرح الخلافة الأموية الذى انهار بالمشرق .

اما بالنسبة لمسلمى كريت ، فهم الرعايا السابقين للأمويين ، الذين ثاروا على السلطات فى الأندلس فى ١٣ رمضان عام ٢٠٢ هـ (٢٥ مارس ٨١٨م) ، وانتهى الأمر بطردهم من البلاد ، ثم نزولهم بمدينة الأسكندرية ومشاركتهم فى احداثها السياسية ، حتى خروجهم منها فى عام ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) وفتحهم لجزيرة كريت . ويعتبر كتاب الأمير الأموى عبد الرحمن الثانى ، للامبراطور ثيوفيل ، وثيقة تاريخيه هامة ، تؤكد ان هذه الجزيرة كانت تدين بالولاء السياسى للدولة العباسية ، وليس للدولة الأموية بالأندلس ، كما ذكر بعض المؤرخين (٣) .

ورغم ان الأمير عبد الرحمن قد رحب باقتراح الإمبراطور ثيوفيل الخاص بعقد تحالف بينهما ، وأبدى استعداده لقبوله ، الا ان الأحداث التى تعرضت لها كل من الدولتين الأموية والبيزنطية فى الفترة التالية ، لم تتح للطرفين الاستمرار فى المفاوضات الخاصة بهذا المشروع ، فأهمله الجانبان ، وبذلك قضى عليه بصفة نهائية .

---

(١) هو عبدالله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، بويع للخلافة فى ١٣ ربيع ، الاخر سنة ١٣٢ هـ (نوفمبر ٧٤٩ م) ، وقيل فى النصف من جمادى الاخرة من نفس السنة وتوفى فى ١٢ ذى الحجة ١٣٦ هـ (يونيه ٧٥٤ م) . وعمره آنذاك ثلاث وثلاثين سنة . أنظر المسعودى ، نفس المصدر ، جـ٢ ، ص ١٦٥ .

(٢) انظر تفاصيل الحروب بين العباسيين والخليفة مروان بن محمد وماارتبط بهذه الحروب من احداث فى المصدر التالى ، المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص ص ١٥٧ – ١٦٤ .

(٣) انظر ، نبيه عاقل : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٩٣ . وراجع كذلك الفصل الاول من هذا البحث ، ص ٩٢ ، حاشية رقم (٣) .

نص الكتـــاب (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فقد بلغنى كتابك تذكر فيه الذى كان عليه من مضى منكم لأولينا من المودة الصادقة ، وانه قد دعاك ذلك إلى مكاتبتنا ، وارسال قرطيوس رسولك الينا لتجديد تلك المودة ، وترتيب تلك المصادقة ، وتسأل ان ينعقد فيما بيننا وبينك من ذلك مانتمسك به ونتواصل له ، ونبعث رسلا من عندنا اليك ، ليعلموك بالذى نحن عليه من الرغبة فيما حضضت عليه ، ودعوت اليه ، لتثبت بقدومهم عليك مودتنا ، وتتم به صداقتنا . وفهمت ماذكرتـــه من امر الخليفة مروان رضى الله عنه وصلى عليه ، ومن وشائج قرابتنا منه ، وآسيت لما استلب من سلطانه ، واستبيح من حرمة ، واستحل من دمه ، وماكان من الفاجر ابى جعفر (٢) تربه الله ، وجراءته على الله ، واغتراره به وانتهاكه لمحارمه ، والله قد احصى عليه ذلك فآسفه منه فهو لا محاله مجازيه جزاء سعيه .

ثم الذى ذكرته من فعل الخبيثين ابن مراجل (٣) وابن مارده (٤) اخيه بعده ، من الحادهما فى نحلتها ، واساءتها لسيرتها ، ورغبتها فى رعيتها ، وشدة

---

(١) انظر نص الكتاب فى المرجع التالى ، بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، مجموعة الالف كتاب رقم ٢٨٩ ، ص ص ١١٥ — ١١٨

(٢) هو ابو الجعفر المنصور ، ثانى الخلفاء العباسيين ، تولى الخلافة فى ذى الحجة ١٣٦ هـ (يونيه ٧٥٤ م) ، وتوفى فى ذى الحجة ١٥٨ هـ (اكتوبر ٧٧٥ م) ، وهو فى طريقه إلى مكة المكرمة لحج ، انظر ، المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ، ص ١٨٠ .

(٣) المقصود بابن مراجل ، الخليفة العباسى المأمون ، لان امه كانت تدعى مراجل وهى جارية ام ولد للخليفة هارون الرشيد ، انظر ، المسعودى : مروج الذهب ، جـ٢ ص ٢٤٧ .

(٤) المقصود بابن مارده الخليفة المعتصم بالله العباسى .

وطأتها عليهم ، واستحلالها دماءهم واموالهم ، وماذكرت من حضور وقت زوال دولتهم ، وانقطاع مدة سلطانهم ، وتأذن برد دولتنا وسلطان آبائنا الذين نبأت عنهم الكتب ، ونطقت بهم الرسل ، واوجب لهم الإجماع ، وحازه اليهم البرهان ، والذى حضضت عليه من الخروج اليهم ، وطلب الثأر منهم ، ووعدته من نصرتك لنا بما ينصر الصديق صديقه ، ومايعلم هواه فيه ومودته له . وماعطفت اليه من امر ابى حفص ، ومن معه من جالبة بلدنا ، وغلبتهم على ماغلبوا عليه من بلدك ، وخضوعهم لابن ماردة ، ودخولهم فى طاعته ، وما سألت من أهل الأنكار لذلك ، والا نفه منه ، وحكيت من ذلك وقصصته فى كتابك ، فقد قرأناه وفهمناه .

وأما مارغبت من مودتنا ، وأحببته من مصادقتنا ، وأردت تجديده وتوصيله والتمسك به وتوثيقه ، مما كان عليه أولوك لا ولينا ، فقد رغبنا منك فى مثل الذى ذكرته من حرصك على مواصلتنا ، وان نتمسك من ذلك بما كان عليه سلفنا ، ومالم يزل من مكان قبلنا من الملوك يتمسكون به ، ويتحاضون عليه ، ويحفظه بعض لبعض ويشدون ايديهم به .

وأما ماذكرت من امر الخليفة مروان بن محمد رحمه الله ، فان الله تعالى احب ان يكرمه ، بما انتهك من حرمته ، ونكث بيعته ، ويسوقه إلى رحمته ، وأن يشقى بذلك من ركبه منه ويخزيه ويعذبه عليه .

واما ماكان عليه الفاجر ابو جعفر فى تعذيبه العباد، وظلمه وجرأته على الله وانتهاكه لمحارمه ، فان الله قد اخذه بذنبه ، واستدركه ببغيه ، وصيره من عذابه ونكاله ، إلى مالا انقطاع له ، ولاتخلص منه ، جزاء بما اجترأ ، وكذلك حكم الله فى اهل معصيته واولى الاجتراء والافتراء عليه .

وأما ماذكرت عليه من امر الخبيث ابن مارده ، وحضضت عليه من الخروج إلى ماقلته وذكرته من تقارب نقطاع دولته ودولة اهله ، وزوال سلطانهم وماحضر من وقت رجوع دولتنا ، وأزف من حين ارتجاع سلطاننا فاننا نرجو فى ذلك عادة الله عندنا ، ونستنجز موعده ايانا ، ونمترى حسن بلائه لدينا بما جمع لنا من طاعة من قبلنا ،من اهل شأمنا واندلسنا واجنادنا وكورنا وثغورنا ، ومالم نزل نسمع ونعترف ، ان النقمة تنزل لهم ، والدائرة تحل عليهم من اهل المغرب وعلى ايدينا ، فيقطع الله دابرهم ويستأصل شأفتهم ان شاء الله تعالى .

وأما ما ذكرت من امر ابى حفص الأندلسى ، ومن صار معه من اهل بلدنا فى خضوعهم لابن مارده ، ودخولهم فى طاعته ، وما سألت من النظر فى امورهم ، والانكار لفعلهم ، فانه لم ينزع اليه منهم الا سفلتهم وسوادهم وفسقتهم وأباقهم ، وليسوا فى بلدنا ، ولا برتبتنا فنغير عليهم ، ونكفيك مؤنتهم ، وانما اضطروا إلى الدخول فى طاعة ابن مارده لمأمنهم من بلاده ، ودنو ناحيتهم من ناحيته ، ولم نكن نحسبك تعجز عنهم ، ولا تصعب عن نكايتهم ، ولا تتوقف عن اخراجهم عما تطرقوه من بلدك ، واذ ترى مكانهم به من موضعك ، وان الله بحوله وقوته وفضله ومنته رد الينا سلطاننا بالمشرق وماكان تحت ايدى ابائنا منه ، نظرنا ، فى ذلك بما فيه صلاح لنا ولك ، واستقامه لطاعتنا وطاعتك ، وعرفنا الذى يكون من معونتك على مادعوت اليه ، وحضضت عليه ، بما يعرفه الصديق لصديقه ، وذو المودة لأهل مودته ولم يضع لك عندما مارعيته من حقنا وقمت فيه من حفظنا .

وقد ادخلنا رسولك قرطيوس علينا ، وكشفناه على الذى اوصيت بـه الينا ، وعن كل مايجب لصديق ان يعرفه من حال صديقه ، ووجهنا اليـك بكتابنا هذا رسولين من صالحى من قبلنا ، فاكتب الينا معهما بالذى انت عليه من الأمر الذى كتبت به الينا ، والذى يجب عليك من سائر خبرك ، ومتعة عافيتك ، لننظر فيما يتصرفان به على حسب مايأتينا من عندك ان شاء الله .

ملحـق رقـم (٣)

كتاب الخليفة الفاطمى المعز الى الإمبراطور البيزنطى رومانوس الثانى

هذا الكتاب أرسله الخليفة الفاطمى المعز لدين الله ، إلى الإمبراطور البيزنطى رومانوس الثانى ، وذلك حين تعرضت جزيرة كريت الإسلامية لحصار القوات البيزنطية بقيادة نقفور فوقاس فى عام ٩٦٠ م / ٣٤٩ هـ فاستغاث اهلها بالخليفة المعز ، وارسلوا اليه بشمال افريقيا ، وفدا لطلب المساعدة العسكرية . وكان الخليفة المعز فى ذلك الوقت مرتبطا بالهدنة لمـدة خمس سنوات مع البيزنطيين ، لذلك فقد ارسل هذا الكتاب إلى الإمبراطور البيزنطى رومانوس الثانى ، ينذره فيه بوقوف الدولة الفاطمية بجانب اهالى كريت وعزمها على اغاثتهم ونجدتهم ، رغم انهم يدينون بالولاء السياسى للدولة العباسية ويعتنقون مذهبها السنى ، وحجته فى ذلك ان كريت وغيرها من البلاد الإسلامية هى ملك خالص للفاطميين ، بصرف النظر عمن يحكمها غيرهم ، فهم جميعها مغتصبين لحق الخليفة الفاطمى فى حكم العالم الإسلامى بأجمعه .

والواقع ان ذلك يوضح نظرية الشيعة فى الحكم ، تلك النظرية التى حصرت الخلافة فى اسرة معينة وفى بيت معين ، هو بيت الأمام على رضى الله عنه ، وأصبحت عقيدتهم ، ان الحسن هو الخليفة بعد ابيه ، وان الخلافة ارث فى بيت الأمام على إلى يوم الدين (١) .

ويؤكد الخليفة المعز لدين الله ، ان الحق يعود دائما لأصحابه مهما طال الأمد . ويستشهد على ذلك بعودة العرش البيزنطى خالصا للأسرة المقدونية وبعد ان حاول رومانوس ليكابينوس قائد البحرية البيزنطية ، اغتصاب العرش من صاحبه الشرعى الإمبراطور قسطنطين السابع ، والد الإمبراطور رومانوس الثانى ، وتأسيس اسرة جديدة يقضى بها على الأسرة المقدونية . لكن الإمبراطور قسطنطين السابع نجح فى استرجاع عرشه من أيدى المغتصبين (٢)

واخيرا أوضح الخليفة المعز ، للأمبراطور رومانوس الثانى ، انه اذا استمرت القوات البيزنطية فى حصارها لكريت ومحاربتهم ، فان الهدنة بينهما ستصبح لاغية ، وسيخوض الفاطميون الحرب ضد البيزنطيين مساندين لأهالى كريت ومؤيدين لهم .

نص كتاب الخليفة المعز إلى الإمبراطور

رومـــانوس الثانى (٣)

. . . ولا يرى ان دعوة اهل اقريطش قبل اليوم إلى غيرنا ، وقد انابوا اليوم الينا واستغاثوا بنا ، مما يوجب لك عندنا تمام الموادعة بتركهم اليك وترك

---

(١) عطية مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين ، ص ٥٥ .

(٢) انظر ظروف اغتصاب رومانوس ليكابينوس للعرش البيزنطى ، ثم استرجاع قسطنطين السابع لعرشه فى الفصل الثالث من هذا البحث ص ص٢١٣-٢١٤ ، ص ص٢٢٠-٢٢١ .

(٣) هذا النص مأخوذ من النعمان : المجالس والمسايرات ، جـ٢ ، لوحات ٤١٣ - ٤١٦ .

اعتراضك فيهم ، ان امتناع اهل الباطل من اهل الحق ليس بمزيل حقهم ، وان تغلبوا عليه دونهم ، بل هولهم بتصيير الله تع اياه اليهم .فاقريطش وغيرها من جميع الأرض لنا بما خولنا الله منها واقامنا له فيها ؛ أطاعنا من أطاعنا ، وعصانا من عصى ، وليس بطاعتهم يجب لنا ان نملك ولا بعصيانهم يحق علينا ان نترك ، ولو كان ذلك لكان الأمر اليهم لا إلى الله تع الذى خولنا ، ولا لنا ان شاؤوا اعطونا ، وان احبوا منعونا ، كلا ان ذلك لله الذى له مافى السموات ومافى الأرض ، هو الذى اصطفانا وملكنا واعطانا ، ولو كان ذلك للخلق لما وسعنا قتال من امتنع منهم ، ولا رد ما انتزعوه بالغصب من ايدينا ، اذا اقدرنا الله على ذلك وبه قوانا . قلت انت غير ذلك ، وانت ترى أن مافى يديك لك فقد كان رومانس تغلب عليك وعلى ابيك من قبلك ، ثم دارت لكما عليه الدائرة . فان رأيت أن من احتجز شيئا وتغلب عليه فهو له دون صاحب الحق الذى ملكه ، فلم يكن لك ولا لأبيك القيام على رومانس ، ولا انتزع ماصار اليه من بين يديه ، فهذه سبيل اهل الحق عندنا ، فان اعترفت لها فقد انصفت ، وان جهلتها لم يكن جهلك اياها حجة على من عرفها . وعهدك ان تماديت على حرب من أناب الينا ، منبوذ اليك فانظر لنفسك ولأهل ملتك ، فأنا مناجزوك واياهم الحرب بعون الله لنـا وتأييده ولا حول ولاقوة الا به .

ملحـق رقـم (٤)

رسالة الخليفة المعز الفاطمى إلى كافور الاخشيدى

هذه هى الرسالة التى بعث بها الخليفة المعز لدين الله الفاطمى إلى كافور الاخشيدى ، المسيطر على شئون مصر آنذاك ، وذلك فى نطاق الجهود التى بذلها الخليفة المعز لأنقاذ اهالى كريت المسلمين من قوات الأحتلال البيزنطى

المحاصرة لهم بقيادة نقفور فوقاس . والمعروف انه كانت هناك علاقات متبادلة بين المعز وكافور ، رغم ان مصر كانت لاتزال تدين بالسيادة للدولة العباسية ، غير ان كافور كان حريصا على توثيق علاقاته بكل من الخليفة العباسي والخليفة الفاطمي ، فكان ، كما قال ابن تغرى بردى «يهادى المعز صاحب المغرب ، ويظهر ميله اليه ، وكذا يذعن بالطاعة لبنى العباس ، ويخدع هؤلاء وهؤلاء»(١) .

وقد ارسل الخليفة المعز بهذه الرسالة إلى كافور ، بغرض التعاون معا لنجدة جزيرة كريت ، وكانت خطة الفاطميين ان ترسل مصر بأسطول يجتمع مع الأسطول الفاطمى فى مرسى طنبه فى اقليم برقة ، الذى يخضع لسلطة الفاطميين ، وتبحر القوات الفاطمية والمصرية معا إلى كريت . لكن جهود المعز فى هذا السبيل ذهبت هباءا ، ولم تجد دعوته تلك اذنا صاغية لدى كافور وربما كان السبب فى ذلك هو الأحوال السياسية المضطربة التى كانت تمر بها مصر وقتذاك ، ومن المحتمل ان يكون السبب كذلك هو رغبة كافور فى عدم اغضاب الخلافة العباسية ، بانضمامه السافر للفاطميين ، وتعاونه معهم على هذا النحو ، ولهذا فلم تحقق هذه الرسالة الغرض الذى ارسلت من اجلـــه .

نص رسالة الخليفة المعز إلى كافور الأخشيدى (٢)

. . . . ان الله سبحانه قد خولنا من فضله وأمرنا من معونته وتأييده بما نرى بحوله وقوته ونصره لنا واظهارنا على عدونا ، أنا نكف أيدى الكفرة

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ٤ ، ص ٦ .

(٢) هذا النص مأخوذ من المصدر التالى : للنعمان : المجالس والمسايرات ، جـ٢ ، لوحات ، ٤١٧ – ٤١٩ .

عما تطاولت اليه من حرب هذا الصقع والايقاع بأهله ، وقد انتهى الينا ، انك اظهرت الحركة إلى الجهاد وامداد هؤلاء القوم بمراكب من قبلك وانت لعمرى بذلك اجدر ، لقربهم منك . واتصالهم بك وميرتهم بلدك وكونهم واياك فى دعوة واحدة ، ولو اسلمناهم اليك وقعدنا عنهم لماكان لك ولا لهم علينا حجة فى ذلك ، ولكنا آثرنا نصرة أمة جدنا محمد ص ولم نر التخلف عن ذلك ، وقد رجونا له ، وألقوا بأنفسهم الينافيه ، ونحن لا (نحول) (١) بينك وبين الجهاد فى سبيل الله ، ولا نمنعك من تمام ماأملت منه ، فلا يكن مايتصل بك من انفاذ اساطيلنا يريثك عن الذى هممت من ذلك . وان تخشى على من تبعث به وعلى مراكبك منا ، فلك علينا عهد الله وميثاقه أنا لانكون معهم الا بسبيل خير ، وأنا نحلهم محل رجالنا ونجعل ايديهم مع ايدينا ، ونشركهم فيما أفاء الله علينا ، ونقيمهم فى ذلك وغيره مقام رجالنا ، ومراكبك مقام اساطيلنا حتى يفتح لنا ان شاء الله ثم ينصرفوا اليك على ذلك ، أو يكون من امر الله وقضاءه ماهو فاعله ، فاعلم ذلك وثق به منا ، ففى تظافر المسلمين على عدوهم واجتماع كلمتهم ، اعزاز لدين الله وكبت لأعداءه . فقد سهلنا لك السبيل والله على مانقول وكيل ، فان وثقت بذلك ورأيت ايثار الجهاد ، فاعمل على ان تنفذ مركبك إلى مرسى طنبه من ارض برقة ، لقرب هذا المرسى من جزيرة اقريطش ، ويكون اجتماعهم مع اساطيلنا بهذا المرسى مستهل ربيع الآخر ، بتوفيق الله وقوته وتأييده ونصره وعونه ، والا ترى ذلك ، فقد أبلغنا فى المعذرة اليك والنصيحة لك ، وخرجنا مما علينا اليك ، ونحن بحول الله وقوته وتأييده ونصره وعونه ، مستغنون عنك وعن غيرك ، وعلى عزم وبصيرة فى نفاذ اساطيلنا ورجالنا وعدتنا وما خولنا الله اياه ، وقد أقدرنا عليه مما نرى بحوله وقوته نبلغ به مانؤم اليه بذلك ونصمد نحوه ، فبالله نستعين وعليه نتوكل وعلى تأييد نعول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) هذه الكلمة جاءت فى النص الاصلى (لا حول) والاصح (لا نحول) .

ملحـــق رقـــم (٥)

كان للبيزنطيين تقاليد معينة يتبعونها عند الأحتفال بانتصاراتهم العسكرية على اعدائهم ، وكانت هذه الاحتفالات تتم عادة فى الهيبودروم ، ويحضرها الامبراطور والامبراطورة وكبار رجال الدولة وعامة الشعب ، وكان يتخلل هذه الاحتفالات الأناشيد والابتهالات الدينية . وبعد استرجاع نقفور فوقاس لجزيرة كريت فى عام ٩٦١ م ، اقيم احتفال كبير فى الهيبودروم ابتهاجا بالانتصار الذى احرزوه على المسلمين فى كريت، وحضر هذا الأحتفال الامبراطور رومانوس الثانى ، وبعد ان تم استعراض موكب الاسرى الذين كان بينهم امير كريت السابق عبد العزيز بن شعيب وابنائه ، اخذ رجال الدين البيزنطيين يرتلون هذه الأنشودة التى تمجد انتصارهم على المسلمين .

الترجمة العربية للأنشودة(١)

المجد للرب سيد الجميع خالق كل شيء ، المجد للرب الذى نصرنا على ابناء هاجر (٢) المجد للرب الذى قوى الامبراطور الورع ، المجد للرب الذى ضرب الاسماعيليين (٣) الذين حاربوا المسيح ، المجد للرب الذى خلص اسرانا

---

(١) النص اليونانى للانشودة اورده الامبراطور قسطنطين السابع فى كتابه «المراسم الامبراطورية» الجزء الثانى ، ص ص ٣٣٢ – ٣٣٣ .

(٢) المرجح أن المقصود «بابناء هاجر» المسلمون ، وكان البيزنطيون يطلقون عليهم اسم المهاجرين (Agarenus) نسبة اليها .
انظر المصدرين التاليين :

Genesius, p. 33 Zonaras, p. 491.

(٣) الغالب أن الاسماعيليين هم المسلمون ايضا ، وهنا ينسبهم البيزنطيون إلى النبى اسماعيل عليه السلام .

من أيدى الأعداء ، المجد للرب الذى خرب مدن العرب ، المجد للرب الذى اهلك الذين ينكرون أم الا له ، المجد للرب الذى لطخ بالعار الرجل المتغطرس عدو المسيح ، المجد للرب الذى يحكم جيدا هكذا . مولانا من لا يمجد ارادتك مولانا من لا يحمد صنيع يديك ؟ مولانا نشكرك جدا ، لأنك تكن الكثير من الشفقة لشعبك بكونك تتركه يحكم بكل هذه القوة .

المصـــادر والمـراجـــع

اولا ــ المصادر البيزنطية

أ ــ المصادر اليونانية :

ــ كتاب يوحنا كامينياتى بعنوان «قهر سالونيك » ، وقد نشر فى بون فى عام ١٨٣٨ م .

ــ الملحمة التى كتبها ثيود وسيوس الشماس واطلق عليها اسم«فتح كريت».

ــ كتاب المؤرخ البيزنطى كيدرينوس المسمى «موجز التاريخ»، الذى نشر فى بون عام ١٨٣٨ م .

ــ كتاب « المراسم الإمبراطورية » للامبراطور قسطنطين السابع ، وقد نشر فى بون فى عام ١٨٤٠ م ،

ب ــ المصادر اليونانية المترجمة إلى اللغة اللاتينية :

— Diaconus, Leonis Diaconi Historiae, (C.S.H.B.) Bonn, 1828

— Constantin Porphyrogenetus, De Thematibus, (C.S.H.B.), Bonn, 1940.

: De Administrando Imperio, Bonn, 1840.

— Genesius, Basileiai, (C.S.H.B.) Bonn 1834.

— Leonis Philosophi, Tactica (Patrologiae Greacae, Parisina 1863).

— Monachus, Vitae Recentiorum Imperatorum, (C.S.H.B.) Bonn 1838.

— Nicolai Constantinopolitani Archiepiscopi Epistolae (Patrologiae Cursus Completus) (1863).

— Symeon Magestri, Annales, Bonn, 1838.

— Theophanes Continuatus, Bonn, 1838.

— Zonaras, Epitomae Historiarum, Bonn, 1838.

ثانيا ــ المصادر العربية

ابن الابـــــار : (ابو عبدالله بن عبد الله القضاعى)
الحلة السيراء ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

ابـــن الاثـــير : (على بن احمد بن ابى الكرم)
الكامل فى التاريخ ، الاجزاء ٥ ــ ٧ ، المنيريـــة ، ١٣٥٣ ــ ١٣٥٧ هـ .

ابـــن الخطيب : (لسان الدين بن الخطيب السلمانى)
أعمال الاعلام فى من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام . تحقيق وتعليق ليفى بروفنسال ، الطبعـــة الثانية ، بيروت ، ١٩٥٦ .

ابـــن العـــديم : (كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله)
زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، جزءان ، تحقيق الدكتور سامى الدهان ، دمشق ، ١٩٥١ .

ابـــن الفقيـــة : (ابى بكر احمد بن محمد الهمذانى)
مختصر كتاب البلدان . ليدن ، ١٣٠٢ هـ .

ابـــن القـــلانسى : (ابو يعلى حمزة)
ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨ .

ابن القوطية القرطبى : (ابو بكر محمد)
تاريخ افتتاح الأندلس ، حققه وشرحه وعلق عليه

مخطوطتى باريس ومدريد وقدم له عبد الله انيس الطباخ بيروت ، ١٩٥٧ .

ابـــن الـــوردى : (سراج الدين ابى حفص عمر)
خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، مصر ١٩٣٩ .

ابـــن تغرى بـــردى : (جمال الدين يوسف)
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الاجزاء ١ ــ ٤ الطبعة الاولى ، دار الكتب المصرية .

ابـــن جبـــير : (ابى الحسن بن احمد بن جبير الكنانى الأندلس)
الرحلة ، بغداد ، ١٩٣٧ .

ابـــن حـــوقـــل : (ابو القاسم ابن حوقل النصيبى)
صورة الارض ، جزءان ، الطبعة الثانية ، ليـــدن ، ١٩٣٨ ــ ١٩٣٩ .

ابـــن خلـــدون : (عبد الرحمن بن محمد)
ــالمقدمة ، نشر المكتبة التجارية ، مصر .
ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر ، الاجزاء ١ ــ ٣ ، بولاق ١٢٨٤ هـ .
ـ اخبار دولة بنى الأغلب بأفريقية وصقلية وبقيـــة اخبار صقلية إلى حين استيلاء الافرنج عليها (مـن كتاب العبر) طبعة باريز ، ١٨٤١ .

ابـــن خرداذبـــــة : (ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله)
المسالك والممالك ، ليدن ، ١٨٨٩ .

ابـــن رستـــه : (ابى على احمد بن عمر)
الاعلاق النفسية ، ليدن ، ١٨٩١ .

ابن سعيد المغـــربى : (ابو الحسن على بن موسى)
المغرب فى حلى المغرب ، الجزء الاول ، حققه وعلق عليه ، الدكتور شوقى ضيف ، دار المعارف مصر .

ابن عذارى المراكشى :
البيان المغرب فى اخبار الأندلس والمغرب ، نشر وتحقيق س كولان ، ليفى بروفنسال ، الجزء الاول ليدن ، ١٩٤٨ ، الجزء الثانى ، ١٩٥١ .

ابـــن المنكـــلى : (محمد)
الاحكام المملوكية والضوابط الناموسيه فى فن القتال فى البحر ، مخطوط مصور ، مطبعة دار الكتب المصرية رقم التصوير ١٩٥٠ ، موجود بمكتبة كلية الاداب — جامعة الاسكندرية .

ابـــــن هشام :
السيرة النبوية . حققها وضبطها ووضع فهارسها ، مصطفى السقا ، ابر هيم الابيارى ، عبد الحفيظ شلبى ، مجموعة تراث الإسلام ، رقم (١) ، القسم الثانى ، مصر ، ١٣٧٥ هـ .

ابـــــو الفـــــدا : (اسماعيل بن على عماد الدين (المختصر فى اخبار البشر ، ٤ اجزاء ، الطبعة الاولى المطبعة الحسينية ، ١٣٢٥ هـ .

الادريسى : (محمد بن عبد العزيز الشريف الفاوى)
ـ نزهة المشتاق فى ذكر الامصار والاقطار والبلدان، تحت الجزء الرابع من الاقليم الرابع .
ـ نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، رومه ، ١٨٧٨م

الاصطخـــــرى : (ابى اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى) .
مسالك الممالك ، ليدن ، ١٩٢٧ .

البـــلاذرى : (احمد بن يحيى بن جابر)
فتوح البلدان ، ١٣١٧ هـ / ١٩٠٠ م .

الحسن بن عبد الله :
آثار الاول فى ترتيب الدول .

الحميـــــــدى : (ابى عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله)
جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس ، قام بتصحيحه محمد بن تاويت الصنجى ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٢

الحمـــــــيرى : (ابى عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم)
صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب « الروض المعطار فى خبر الاقطار » ، عنى بنشرها وتصحيحها وتعليق حواشيها ، ليفى بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧

الـــــــرزدارى : (ابو شجاع)
ذيل تجارب الامم ، مصر ، ١٩١٦ .

السيـــوطـــــى : (جلال الدين عبد الرحمن)
تاريخ الخلفاء ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ .

الشافعـــــــــى : (الحافظ ابى الفضل شهاب الدين احمد بن على بن محمد بن حجر العسقلانى)
فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، ستة اجزاء ، مصر ١٣٤٨ هـ .

الطـــــــبرى : (ابوجعفر محمد بن جرير بن يزيد بن قدير بن خالد)
تاريخ الامم والملوك ، الجزءان ١٠ ، ١١ ـ الطبعة الاولى ، المطبعة الحسينية .

القلقشنـــــدى : (شهاب الدين ابو العباس احمد بن على)
صبح الاعشى فى صناعة الانشا ، الأجزاء ١ ــ ٥ ، طبعة دار الكتب .

الكنـــــــــدى : (ابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب)
ولاة مصر ، تحقيق الدكتور حسين نصار . دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .

المـــالكـــــى : (ابى بكر عبد الله بن ابى عبد الله)
رياض النفوس ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس .

المسعـــــودى : (ابو الحسن على)
ـ التنبية والاشراف ، ليدن ١٨٩٣ .
ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جزءان ، القاهرة ١٣٦٤ هـ .

المقـــــدسى : (شمس الدين ابو عبد الله)
احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، ليدن ، ١٩٠٦ م .

المـــــراكشى : (ابو محمد عبد الواحد بن على)
المعجب فى تلخيص اخبار المغرب ، ضبط وتصحيح وتعليق ، محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى القاهرة الطبعة الاولى ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م .

المقـــــرى : (احمد بن محمد المقرى التلمسانى)
نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، حققه وضبط غرائبه وعلق حواشيه ، محمد محى الدين عبد الحميد ، الطبعة الاولى ، ١٩٤٩ .

المقـــــريـــــزى : (تقى الدين)
ـ المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، الجزء الاول ، القاهرة ، ١٣٢٤ هـ .
ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر الدكتور زيادة القاهرة ، ١٩٣٤ .
ـ اتعاظ الحلفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، نشر الدكتور الشيال ، القاهرة ١٩٤٨ .

النعمان : (ابو حنيفة بن محمد المغربى)
المجالس والمسايرات ، الجزء الثانى ، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٦٠٦٠ .

النويرى : (احمد بن عبد الوهاب بن محمد شهاب الدين)
نهاية الارب فى فنون الادب ، الجزءان الاول والثانى نشر دار الكتب المصرية ، ١٩٢٣ ، ١٩٣٠ ، والجزء الثانى والعشرين مايزال مخطوطا موجودا بمكتبة كلية الاداب جامعة الأسكندرية .

النويرى السكندرى : (محمد بن قاسم)
الالمام بما جرت به الاحكام المقضية فى وقعة الاسكندرية ، نسخة مصورة من مخطوط دار الكتب المصرية المقيدة برقم ١٤٩٩ تاريخ ، ومحفوظة بمكتبة كلية الاداب جامعة الاسكندرية برقم ٧٣٧ م

اليعقوبى : (احمد ابن ابى يعقوب بن وهب بن واضح)
التاريخ ، بيروت ، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

ساويرس بن المقفع : سير الآباء البطاركة ، طبعة باريز ، ١٨٠٤ .

مسكويه : (ابو على احمد بن محمد بن يعقوب)
تجارب الامم وتعاقب الهمم ، الجزء السادس ، مصر ١٩١٥ .

ياقوت : (شهاب الدين ابو عبد الله الحموى الرومى)
معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر .

يحيى بن سعيد الانطاكى : تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكى ، نشـــر كراتشوفسكى وفازيلييف ،
طبعة باريز ، ١٩٢٤ ، وطبعة بيروت

ثالثا ــ المراجع العربية

ابراهيم احمد العدوى : الدولة الإسلامية وامبراطورية الروم ، الطبعـة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
ـ الاساطيل العربية فى البحر الابيض المتوسط ، القاهرة ١٩٥٧ .
ـ الامويون والبيزنطيون ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٩٥٣ ، والطبعة الثانية ١٩٦٣ .

السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية (٣٢٣ ـ ١٠٨١ م) القاهـرة ١٩٦٠ .
ـ الشرق الأوسط والحروب الصليبية (١٠٥٠ . ١١٩٣ م) ، القاهرة ١٩٦٣ .

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الأسكندرية وحضارتها فى العصور الإسلامية الطبعة الثانية ١٩٦٩ .
ـ التاريخ والمؤرخون العرب ، الأسكندرية ، ١٩٦٧

حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

حسن حبشى : الحرب الصليبية الاولى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٨ .

: المسلمون فى حوض البحر الابيض المتوسط ، مقال فى المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد الاول ، مايو ١٩٥١ .

زينب عصمت راشد : كريت تحت الحكم المصرى (١٨٣٠ ـ ١٨٤٠) نشر الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة.

سعد زغلول عبد الحميد : الاسكندرية من الفتح العربى حتى العصر الفاطمى مقال فى كتاب « تاريخ الاسكندرية وحضارتها منذ اقدم العصور» ، الاسكندرية ، ١٩٦٣ .

سعيد عبد الفتاح عاشور : قبرس والحروب الصليبية ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
ـ الحركة الصليبية ، صفحة مشرقة فى تاريخ الجهاد العربى فى العصور الوسطى ، الجزء الاول ، الطبعة الاولى ١٩٦٣ .
ـ اوروبا العصور الوسطى ، الجزء الاول ، الطبعة الرابعة ١٩٦٦ .

سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى فجر الإسلام ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
ـ مصر فى عصر الاخشيديتين ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

عطية مصطفى مشرفه : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

عمر كمال توفيق : الامبراطور نقفور فوقاس واسترجاع الاراضى المقدسة ، الأسكندرية ١٩٥٩ .

ـ مقدمات العدوان الصليبى ، الاسكندرية ، ١٩٦٦

ـ الأمبراطورية البيزنطية ، الاسكندرية ، ١٩٦٧

فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى ، جزءان ، القاهرة ١٩٦٧ .

محمد امين الخانجى : منجم العمران فى المستدرك على معجم البلدان ، الطبعة الاولى ، مصر ، ١٣٢٥ هـ .

محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس من الفتح إلى نهاية مملكة غرناطة ، العصر الاول ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٤٣ .

نبيه عاقل : الامبراطورية البيزنطية . دراسة فى التاريخ السياسى والثقافى والحضارى . دمشق ، ١٩٦٩ .

رابعا : المراجع المعربة

اومان :

الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة مصطفى طه بدر ، القاهرة ، ١٩٦٠ :

باركر : (ارنست)

الحروب الصليبية ، ترجمة الدكتور الباز العرينى ، القاهرة ١٩٦٠ .

بـــروفنسال : (ليفى)
الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة السيـــد عبد العزيز سالم ، محمد صلاح الدين حلمى ، ومراجعة لطفى عبد البديع ، مجموعة الالف كتاب رقم (٨٩) .

بيـــــــنز : (نورمـــان)
الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، ومحمود زايد ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

حـــــــتى : (فيليب)
تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجى ، بيروت ، ١٩٥٩ .

ديفـــــز : (هـ . و .)
اوروبا فى العصور الوسطى ، ترجمة الدكتور عبد الحميد حمدى محمود ، الاسكندرية ، ١٩٥٨

رانسيمان : (ستيفن)
الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، ومراجع زكى على ، القاهرة ، ١٩٦١ .

فـــازيلييف :
العرب والروم . ترجمة الدكتور عبد الهادى شعيرة ومراجعة فؤاد حسين ، القاهرة ، نشر دار الفكر العـــربى .

لـــومبـــــار : (موريس)
الاسس النقدية للسيادة الاقتصادية ، بحيث ترجمه ونشره توفيق اسكندر ، فى كتاب « بحوث فى التاريخ الاقتصادى ، القاهرة ١٩٦١ .

لـــــويس : (ارشيبالـــد)
القوى البحرية فى حوض البحر الابيض المتوسط ترجمة احمد محمد عيسى ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

هـــارتمـــان (ل . م (وباراكلاف (ج) :
الدولة والإمبراطورية فى العصور الوسطى ، ترجمة الدكتور جوزيف نسيم يوسف ، نشر دار المعارف ١٩٧٠ .

خامسا – المراجع غير العربية

— Bailly, A. : Byzance, Paris.

— Brehier, L.; Le monde byzantine, 3 volumes, Paris, 1947—1950.

— Buckler, g.; Anna Comnena, Oxford, 1929.

— Bury, Y.B.; A History of the Eastern Roman Empire, London, 1912 The Imperial Administrative Systeme in the Ninteen Century, London, 1911.

— Cahen, C. : La Syrie du Nord à l'époque des Croisades, Paris, 1940.

— Cambridge Medieval History, vols IV, V, Cambridge, 1926.

— Canard, M. : Histoire de la Dynastie des Hamdanides de Jezira et de Syrie, Paris 1953.

— Dictionnaire de Théologie Catholique, Sous La Direction de Vacant et Mangenot, Neuviéme edition, Paris 1922.

— Diehl, Ch : Byzance, Grandeur et decadence, Paris, 1919.
Histoire de l'empire Byzantin, paris 1920.

— Diehl et Marçais : Le monde Oriental de 395 à 1081, Paris, 1936.

— Encyclopedia Britanmica, Fourteenth Edition, 12 vol, London, 1929.

— Encyclopdié de l'Islam, Par Hautsana, Basset et Arnold, 11 volumes, E.K. 1927.

— La Grande Encyclopedie, Inventaire Raisonné des Sciences, des lettres, des arts, Par une Societé de Savants et de gens de lettres, 31 volumes, Paris.

— Finaly, G. : History of the Byzantine Empire from DC XIV to ML VII, London 1856-: History of Greece, ED. Tozer, Oxford, 1877.

— Gibbon, E. : The History of the decline and Fall of the Roman Empire, ED. Bury

— Gregoire, H., : Etudes sur le neuvième Sécle, (la revue de Byzantion, Tome VIII, Bruxelles, 1933).

— Hitti, Ph. : His'ory of the Arabs, London, 1946.

— Hussey, Y. : The Byzantine World, London, 1955.

— Oman, C., The Byzantine Empire, London

— Ostrogorosky, G. : Histoiy of the Byantine State, English Trans, Hus sey, Oxford, 1956.

— Rambaud, A. : Etudes sur l'His toi.e Byzantine, Paris, 1912.

— Schlumberger, G. : Un Empereur Byzantin au dixième siécle, Nicéphore Phocas, Paris, 1890.

-: L'Epopée Byzantine à la fin du dixième Siécle, 3 vols. Paris 1896 1950.

— Vasiliev, A. : Histoire de l'Empire Byzantin, traduit du Russes par Bourguina, 2 vols. Paris, 1932.